مجلة شهرية

Issue No: 63 :عدد
November 2012 تشرين ثاني

نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

القديس العظيم في الشهداء
جوارجيوس
لابس حلّة الظفر

ديرالقديس جوارجيوس في حوران
صفحة الغلاف الأخيرة

محتويات العدد

2	الهدف الأعظم
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
4	القديس يعقوب أخو الرب أول أسقف على مدينة أورشليم
6	التجلّي المتروبوليت إيروثيوس فلاخوس
8	مجنون يحكي وعاقل يسمع
9	الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور
10	العظات ١٨ لطالبي العماد القديس كيرلّس الأورشليمي
12	الصلاة للقديس يوحنا الذهبي الفم
14	حرب بين الحيوانات والطيور
15	ثقافة الصورة
16	تدبير الله للخلاص ق. غريغوريوس اللاهوتي
18	جمال جبل سيناء
19	أين نجد السعادة
20	نشاط للملائكة
21	العهد القديم (٤٧)
22	عظة عن المحبة القديس سمعان اللاهوتي

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي
(الهي الجنوبي) ص.ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة
حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

الهدف الأعظم

إصطدمت سفينة كبيرة بجبل ثلجي في ليلة عاصفة ، وانشقّت السفينة ، وسارع الجميع إلى قوارب النجاة.

وكان هدف الجميع أن ينجوا من الغرق ، وحاول أحد الرجال أن يقفز إلى القارب من خلال نافذة حجرته الضيقة. لكنه لسوء تقديره انحشر في النافذة ؛ إذ كان قد ربط على كتفيه حقيبة كبيرة جمع فيها كل ما التقطه من أشياء ثمينة حوله.

كان هدف الرجل مزدوجاً ، فلم يحقق أياً من الهدفين.

عزيزي

ما هو هدفك في الحياة ؟

وَجِّه نَظَرَك أيها الحبيب إلى الرب. واملأ تطلعك بالشوق لذات الله. فلا تضيّع العمر في أهداف باطلة تعطّل مسيرتك نحو الله.

فليكن الله هو **الهدف الأعظم** الذي تسعى للوصول إليه ولتكن السماء هي **الهدف الكبير** الذي تريد أنت تدركه.

إن شعب الله قديماً اجتاز في البحر الأحمر وسار في بريّة سيناء نحو أرض الموعد تحت قيادة الله الذي يهديهم في الطريق بعمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً ، وكان الشعب متجهاً نحو الهدف مثبّتاً نظره على الرب الذي يسير أمامه. (خر١٣: ٢١-٢٢).

وهذه المسيرة تمثّل مسيرة كل مسيحي إجتاز في مياه المعمودية وسار في بريّة العالم نحو أرض الموعد السماوية.

فلابدّ لكل مسيحي أن يكون عارفاً تماماً بما سيفعله وإلى أين يذهب وبالجملة كل ما يتعلق برحلته في بريّة هذا العالم.

لابدّ من وضوح الهدف لكي يكمل طريقه.

والإنسان الذي سار في الصحراء يعرف معنى هذا الكلام ، فالصحراء ليس فيها طرق معبّدة. محدّدة المعالم. بل حيثما تلتفت حولك ويمتد بصرك فلا تَرى سوى رمالاً وتلالاً متشابهة،وليس أسهل من أن يضلّ الإنسان في الصحراء.

فلابدّ للسائر في البرية أن يضع أمامه هدفاً معيناً ، ويجب أن يظل نظره متعلقاً بهذا الهدف لا يتحوّل عنه. وإلا تـــاهَ وضَلَّ الطريق.

فإن كان هذا هو الحال في البرية القاحلة فإن نفس الأمر يحتاجه المسافر في البحر. أو المياه الشاسعة. لابدّ من هدف يضعه أمامه المسافر.

هكذا لابدّ من وضوح الهدف لمن يريد السير في الطريق إلى الله.

قد يتخذ إنسان من الصلاة هدفاً أو الصوم أو القراءات الروحية أو التناول. وفي الحقيقة أن هذه كلها وسائل للوصول إلى الله **هدفنا الوحيد**.

فيجب أن يكون الله نفسه هو الهدف الذي نسعى للوصول إليه. فماذا يحدث لو تحوّلت الوسيلة إلى هدف ؟ لو اتخذنا الصلاة مثلاً هدفاً. ستكون النتيجة أننا حينما نصلي نحس أننا قد حققنا هدَفَنا ، وسينتهي الأمر عند هذا الحدّ. وسيكون الدين بالنسبة لنا مجموعة فرائض. وطالما تمّمنا ما علينا من فرائض نستريح ويستريح ضميرنا لأنّنا أدينا ما علينا. ومن هنا جاء المثل السائد:

(يعمل الفَرض ويسرق الأرض).

تعطّـش ليسوع
... وهو سيرويـك بحبّه .

(القديس إسحق السرياني)

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بمناسبة تذكار تجديد هيكل القديس الشهيد العظيم جوارجيوس في مدينة اللد، أي نقل جسده ووضعه فيه

إنّ ربّنا يسوع المسيح يحذّر تلاميذه من مغبّة الإضطهادات التي ستحل بهم ، من جرّاء الكرازة بالإنجيل بين الأمم واليهود إذ يقول: «ولكن احذروا من الناس لأنّهم سيسلمونكم إلى مجالس ، وتُساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادة لهم وللأمم» (متى ١٠: ١٧–١٨).

أيها الأخوة الأحباء بالمسيح
أيها المسيحيّون الحسني العبادة

لذلك نحن أيضاً لنا سحابة من الشهود ، في كنيسة المسيح المقدسة ، وبشكل خاص ومميّز العظيم في الشهداء جوارجيوس لابس حلّة الظفر ، حيث نحتفل بتذكار تدشين كنيستة المقدسة في مدينة اللد ، والتي تضمّ في رحابها رفاته الطاهرة والكريمة، الكليّة الوقار.

هذا الشهيد العظيم والممجد في شهداء المسيح، القديس جوارجيوس عاش زمن الإمبراطور الروماني ذوكليتيانوس ، فكان من جهة أبيه كبادوكيّاً ، ومن جهة أمّه كان فلسطينيّاً ، فقد أعلن وبجرأة منقطعة النظير: أنّ المسيح هو اللّه وابن اللّه ، وذلك أمام محفل الأمبراطور علانية وبشكل لامع ومبهر، موضحاً مضمون سرّ التقوى العظيم؛ هذا على حسب ما وصل إلينا من كتّاب الكنيسة الذين عاصروه وكتبوا سيرة حياته في (سنكسار الكنيسة).

إنّ القديس جوارجيوس تَبِعَ تعاليم وبشارة السيّد المسيح بثقة ومحبة وإخلاص وبحرارة كبيرة ، فمن أجل ذلك قدّم ذاته ذبيحة حيّة بإستشهاده بالدم لإيمانه الثابت والغير المتزعزع بالمسيح مخلص نفوسنا ، لذا يرتبط سرّ التقوى بصورة مباشرة بسرّ التدبير الإلهي الذي كان أوج تألّقه هو ذبيحة المسيح الكفارية على عود الصليب المحيي وقيامته الظافرة في اليوم الثالث منتصراً على سلطان الموت ، ومعيداً آدم الساقط وذريّته إلى الخلاص الأبدي.

إنّ القديس جوارجيوس ، والذي كان قائد ألف في الإمبراطوريّة الرومانيّة ، لم يقبل أن يظلّ قائداً للملك الأرضي ، يخدم آلهة الأوثان الغاشة، لكنه فضّل أن يكون جندياً باسلاً ومحارباً عن الإيمان القويم، فارساً صنديداً وبطلاً جبّاراً ، من أجل المسيح ملك الملوك وربّ الأرباب. تماماً كما يذكر صاحب المزامير إذ يقول: «اخترتُ أن أُطرح في بيت إلهي أفضل من سُكناي في مساكن الخطأة» (مز ٨٣: ١٠).

لذلك صمّم القديس جوارجيوس وبإيمان ثابت غير متقلقل ومتزعزع أن يتبع السيّد المسيح إلى المنتهى صابراً على جميع الضيقات والتجارب ، مستمداً المعونة الإلهيّة منه. واضعاً نُصب عينيه ما قاله ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح: «فكل من يعترف بي قدّام الناس أعترف أنا أيضاً به قدّام أبي الذي في السموات ، ولكن مَن ينكرني قدّام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السماوات» (متى ١٠: ٣٢ –٣٣).

أما بالنسبة للكلمة المكتوبة (من أجلي شهادة لهم) في إنجيل متى (١٠: ١٨)، هي ظهور الحقيقة في المسيح ، أي تحرير الإنسان من الكذب والغش والزور والبهتان ، وضلالة تعاليم الأوثان الهرطوقيّة ومعتقداتها الخرافيّة ، التي تبلبل وتطغى على أفكار الإنسان السليمة.

وشهادة لهم وللأمم = قبولكم للألم واحتمالكم سيكون شهادة لي أمام هؤلاء الملوك وأمام الأمم، فكل من يحتمل الألم حتى الموت فهو واثقٌ مما يقوله ، وهذا ما سيجعل هؤلاء الملوك يفكّرون في هذه الدعوة. بل السلام والفرح الذي قابل الشهداء به الآلام والموت كان سبباً في إيمان كثيرين في انتشار الكرازة.

تحذير: على كل من يتألّم أن لا يقول للمسيح: «لماذا تجعلني أنا أن أتألّم» فبهذا نجعل من المسيح خصم ، بينما هو يحيا فيَّ ، فلا تتصوّر أنه منفصلٌ عنك ، بينما هو متحدٌ بك ، وقد أعطاكَ حياته سافكاً دمه على عود الصليب.

يظهر القديس جوارجيوس أيها الأخوة الأحباء ، شاهداً صادقاً وأميناً ، من أجل حقيقة سرّ التجسّد ، أي عظَم محبّة اللّه غير المحدودة وغير المستقصاة للبشر ، التي تجلّت من خلال فداء السيّد المسيح من أجل خلاص البشريّة جمعاء ، فبشفاعات قديسنا العظيم جوارجيوس لابس حلّة الظفر ، تحنّن علينا أيها المخلص والفادي يسوع المسيح ، معيداً إيانا إلى حياة التوبة والإنصياع لتعاليمك المحيية لنوال حظ المخلصين في ملكوتك السماوي . آمين

وكل عام وأنتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

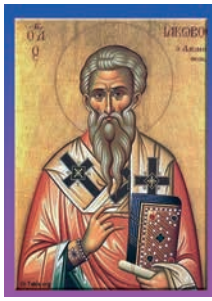

القديس يعقوب أخو الرب
أوّل أسقف على مدينة أورشليم

كتب سيرة حياته القديس سمعان المترجم الذي عاش في القرن التاسع ، ودوّن سيَر عدد من القديسين في مجموعة «مين»

سيرة حياته:

ينحدر القديس يعقوب أخو الرب من اليهودية ، وقد استحق أن يدعى «أخا الرب» بسبب قرابته للرب يسوع بالجسد والروح.

فالقديس يعقوب ، بحسب رأي البعض ، كان ابن يوسف الخطيب ، مولوداً له من امرأته التي كانت معه قبل أن يخطب مريم الدائمة البتولية. ويرى آخرون انه كان ابن اخي يوسف ، أي ابناً لأخيه كلاوبا من مريم امرأته ، التي كانت ابنة خالة والدة الإله. فلهذه النسبة كان يدعى أخا الرب (متى١٣:٥٥). ويلقبه الإنجيليون بالصغير (مرقس١٥:٤٠) تمييزاً له عن يعقوب بن زبدى الذي يلقب بالكبير. وكان يلقب أيضاً «بالصديق» أو «البار» ، لعظم برّه وعدله.

أقيم الرسول يعقوب اسقفاً على اورشليم سنة ٣٤م . وكانت له مكانة خاصة عند جماعة الرسل ، ولكلامه عندها منزلة القانون ، كما يتبين من كتاب اعمال الرسل ، عند مناقشة قضية الوثنين الداخلين حديثاً الى الإيمان: هل يجب أن يختتنوا ، ويلزَموا الحفاظ على شريعة موسى ، أو لا؟ وقد قال الرسول يعقوب ، في ذلك الحين ، بجرأة:

«أرى ألاّ يثقل على الراجعين الى اللّه من الأمم ، بل يرسل اليهم ان يمتنعوا عن نجاسات الأصنام ، والزنى ، والمخنوق ، والدم» (اعمال الرسل ١٥:١٩–٣٠).

واجمع الرسل قاطبة على هذا الموقف ، في ما يدعى مجمع اورشليم سنة ٥٠م ، وكتبوا الى الوثنيين المهتدين بذلك. ويشير الإنجيلي لوقا كاتب سفر اعمال الرسل الى المكانة الخاصة التي كانت ليعقوب اخي الرب عند الرسل ، اذ يقول:

«وفي الغد ، دخل بولس معنا الى يعقوب وحضر جميع المشايخ. فبعدما سلّم عليهم ، طفق يحدثهم شيئاً فشيئاً بكل ما فعله اللّه بين الأمم، بواسطة خدمته. فلما سمعوا ، مجدوا اللّه» (اعمال٢١:١٨–٢٠) كما أن الرسول بولس يدعوه احد أعمدة الكنيسة (غلاطية ٢:٩).

إشتهر بالتقوى والزهد ، وقداسة السيرة. ودعاه اليهود بالبّار ، لأنّه بصلاته كان يُنزل اللّه المطر لهم. وكان يصوم كثيراً ، لا يأكل اللحوم قط ، ذكر عنه القديس يوحنا الذهبيّ الفم بأن أعضاء جسمه ميّتة من كثر النُسك. ويذكر القديس هيجيسيبوس بأن القديس يعقوب كان كثير الركوع على ركبتيه، مصلياً من أجل شعبه حتى صارت ركبتاه ناشفتين مثل ركبتيّ الجمل.

إستشهاده:

قامت ضد الرسول يعقوب جماعة من اليهود المتطرفين ، يدفعهم حنان رئيس كهنة اليهود ، وطلبوا اليه ان ينكر ايمانه بالمسيح. فأقاموه في الوسط ، وسألوه: «قل لنا أيها البارّ من هو المسيح». فأجابهم: «هو يسوع ابن اللّه المساوي للآب بالجوهر». فآمن بكلامه كثيرون ، وقاومه آخرون. أما الكتبة والفريسيون فكانوا يتذمرون، ويقولون للقديس يعقوب اخي الرب: «نرجو منك ايها البار ، ان تقول للشعب ألاّ يضلوا ، ويعتقدوا ان يسوع هو المسيح. انهم سوف يجتمعون في عيد الفصح ، فقل لهم ايها البار ألاّ يؤمنوا بهذا الإنسان». وطلبوا اليه أن يصعد الى جناح الهيكل فيراه الجميع ويسمعوا اقواله ، فيعلمهم.

وهكذا بينما كان اليهود مجتمعين حسب العادة في يوم العيد أُصعدَ الرسول يعقوب اخو الرب الى أعلى مكان في الهيكل لكي يتكلم. فلم يجزع قط من الموت والعذاب ، بل تفوّه بالحقيقة كلها ، وصرخ قائلاً: «ماذا تريدون ان تعلموا عن يسوع ، انه جالس في السموات عن يمين قدرة أبيه ، وهو الذي سوف يأتي جالساً على سحاب السماء ، لكي يدين بالعدل كل المسكونة». فأخذ الكثيرون يصرخون: «أوصنا لابن داود» لكن الكتبة والفريسيون استشاطوا غيظاً ، وأخذوا يحرّضون الشعب عليه قائلين: «لقد ضلّ البار هو أيضاً». فصعدوا الى جناح الهيكل ، وقبضوا عليه مثل الوحوش الضارية ، ورموا به الى الأرض ، من فوق ، وبعدها اخذوا يرجمونه بالحجارة ، وهو يصلي ويقول: «ايها الرب ، الإله ، اغفر لهم ، لأنهم لا يعلمُون ماذا يفعلون».

يا لها من نفس مطوّبة! يا لها من وداعة عجيبة! كما قال السيد المسيح وهو على الصليب ، وكما فعل الشهيد استفانوس ، وهكذا صلى الرسول يعقوب اخو الرب من اجل قاتليه ، مثبتاً أخوّته للرب في الآلام أيضاً. فصرخ كاهن من ابناء راحاب قائلاً: «كفّوا ايها الأشقياء. ماذا تفعلون؟ ان البار يصلي من اجلنا ، وانتم ايها الظالمون ترجمونه» فأخذ واحد من القتلة خشبة ، وشجّ رأس القديس ، فأسلم الروح ، **سنة ٦٢م** ، فدفن الى جانب الهيكل .

(هذه المعلومات مأخوذة أصلاً من التاريخ الكنسي لأفسابيوس ، الجزء الثاني ، فصل٢٣، كما يمكن لنا أن نحصل على معلومات مفصّلة عن عذاباته في تاريخ يوسيفوس المؤرخ اليهودي).

وتعيد له الكنيسة في **٢٣ تشرين الأول** حسب التقويم اليولياني. الواقع في ١١/٥ حسب التقويم الغريغوري.

هكذا فإن الشهيد لحق بالشهداء ، والبار بالأبرار. فكان أول رئيس كهنة يستشهد من أجل المسيح ، كما كان استفانوس أول رئيس شمامسة يستشهد ، وكما كان يعقوب بن زبدى أول

رسول شهيد. وقد استحق القديس يعقوب البار ، الرسول ، اخو الرب، ان يدعى ايضاً الشهيد في رؤساء الكهنة.

وكما كانت نفسه مزينة بكل فضيلة ، هكذا استحق أن يجازيَه حسناً في الفردوس السيد يسوع المسيح ربنا وإلهنا ، الذي يليق به كل مجد واكرام وسجود ، مع الآب الذي لا بدء له ، والروح المساوي له في الجوهر، الى دهر الداهرين. آمين.

رسالة يعقوب الجامعة:

كتب الرسول يعقوب الرسالة الأولى من الرسائل الكاثوليكية اي الجامعة ، التي وجِّهت الى عدة كنائس لا الى كنيسة محدّدة. وقد كتب الرسول يعقوب رسالته الى اليهود الذين في الشتات ، أي خارج ارض فلسطين .

ويتبين لنا من رسالته انه امتلك الفضائل النظرية والعملية معاً ، التي تقود الإنسان الى الكمال. ففي بداية رسالته يقول: «من يعقوب عبد اللّه والرب يسوع المسيح» (يعقوب ١:١). فلشدة تواضعه لم يَدْعُ نفسه اسقفاً ، أو رسولاً ، بل قال عن نفسه انه عبد اللّه ، متشبهاً بمعلمه في فضيلة التواضع.

ودعته الفضيلة النظرية (الثيوريا) الى القول ان الحزن والضيق يقودان الإنسان الى الفضيلة ، ويُصعدانه بالتجارب الى اللّه. ولذلك يحثُّ المؤمنَين على الصبر قائلاً: «احسبوه كل فرح يا اخوتي ، حينما تقعون في تجارب متنوعة ... لأنه طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة» (يعقوب ١:٢و١٢) .

وفيما يلي ذلك يصحّح ما جاء على لسان البعض ان اللّه هو سبب الشرور ، قائلاً: «لا يَقل احد اذا جُرِّب ، ان اللّه يجرّبني ، لأن اللّه غيرُ مجَرب بالشرور ، وهو لا يجرب أحداً. بل الشهوة هي التي تجرّبُ الإنسان» (يعقوب ١:١٣-١٤).

ومن ثمّ ينصح بألاّ يفتخر احد عندما يعمل عملاً صالحاً ، لأننا بدون النعمة الإلهية ، لا نستطيع ان نعمل أي صلاح: «كل عطية صالحة ، وكل موهبة كاملة ، هي منحدرة من العلو من لدن أبي الأنوار» (يعقوب ١:١٧).

ويحثنا على الرحمة والإحسان ، قائلاً ان الذين لا يصنعون الرحمة سوف يجدون القاضي الديان غير رحوم في ساعة الدينونة:«لأن الحُكم هو بلا رحمة لمن لم يعمل الرحمة» (يعقوب ٢:١٣).

ويتابع قائلاً ان الذين لا يحفظون وصايا الرب لا يفيدهم ايمانهم:«لأن الإيمان بدون أعمال ميّت» (يعقوب ٢:٢٠) كما ان الجسد بدون النفس ميت، ويحثنا الرسول يعقوب ايضاً على ضبط اللسان حتى لا نتفوّه بالكذب ، وبالنميمة ، أو بإدانة الآخرين ، وعلى ان نتجنّب القَسَم الباطل ، وألاَّ نحلف لا بالسماء ولا بالأرض ولا بأي خليقة أخرى. كما ان القديس يعقوب يتكلم في رسالته عن سرّ مسحة المرضى (يعقوب ٥:١٤-١٥).

يعقوب عند المؤرخين:

نثبت فيما يلي ما قاله بعض المؤرخين وآباء الكنيسة عن الرسول يعقوب اخي الرب:

فالمؤرخ اقساقيوس القيصريّ يقول ، نقلاً عن هجزيبس اقدم الكتبة الكنسيين ، أن يعقوب قد تقدّس وهو في حشا امه، كما تقدس يوحنا المعمدان. وقول هجزيبس هذا ، دليل على ان المسيحيين في القرنين الأول والثاني قد آمنوا بذلك وسلّموا به.

كما ان القديس إيرونيمُس يقدّم القديس يعقوب كَمَثَل اعلى للمؤمنين في نقاوة السيرة والصوم ، والصلاة ، والعبادة ، والقداسة. ويقال ان يعقوب نشأ وعاش على عوائد الناصريين، فلم يكن يذوق اللحم ولا الخمر مطلقاً ، ولا تعلو رأسه موسى ، ولا يقصّ شعره أو يتضمّخ بالعطور.

ويروي القديس إيرونيمُس ان يعقوب لما علم بموت الرب يسوع على الصليب ، أقسَمَ الاَّ يذوق طعاماً حتى يقوم الربّ من بين الأموات. وفي صباح القيامة ، تراءى المسيح ليعقوب ، وقدّم له خبزاً ، وقال له: «قُمْ يا أخي ، فإنّ ابن البشر قد قام».

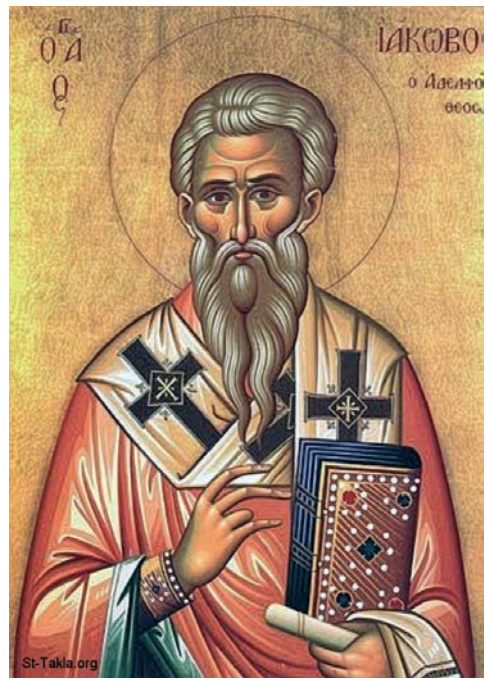

القديس يعقوب اخو الرب أول أساقفة أورشليم

أما **يوسيفوس** المؤرخ ، فيربط بين ما حلّ باليهود من نكبات سنة سبعين ميلادية ـ حين حاصَر الرومان أورشليم ، وافتتحوها ، وأحرقوا هيكلها ، وقتلوا الكثير من اهلها وشتّتوا الباقين ـ وبين الجريمة التي ارتكبوها ، بقتلهم الرسول يعقوب ، البارّ ، الصديق.

خدمة القديس يعقوب:

والقديس يعقوب هو واضع خدمة القداس الإلهي الأولى ، التي عنها انبثقت الخدَم الأخرى ، كخدمة القديس باسيليوس وخدمة القديس يوحنا الذهبي الفم ، والخدم السريانية. وخدمة القديس يعقوب خدمة طويلة ، وهي لا تزال تقام مرّة كل سنة يوم عيده ، في الكنيسة المقامة على اسمه في أورشليم.

وفي مديح القديس يعقوب أولّ أساقفة أورشليم ، نستلهم ما قاله الشاعر في هذا المضمار إذ يقول :

فكان أحسن خلائق الله كلهم
وكان أحسن ما في الأحسن الشِيَمُ

التجلي

تجلّي المسيح - الميتروبوليت إيروثيوس فلاخوس

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

الجزء الرابع والأخير من عظة التجلي

١٢) عند حدث التجلّي العظيم كان هناك ثلاث تلاميذ فقط: بطرس ويعقوب ويوحنا. هؤلاء يشملهم المسيح في كل اللحظات الكبيرة، كمثل إقامة ابنة يايرس وصلاته على الجثسمانية. لا يمكن ردّ الاختيار إلى التفضيل. لا يمكن أن ننسب إلى المسيح ميولاً بشرية وأحاسيس انفعالية. هناك سبب لاهوتي أكثر عمقاً. نحن نعرف جيداً أن إعلان الله وظهوره هو **الفردوس للمستعدّين لهذه الرؤية، والجحيم لغير الطاهرين**، أو أقلّه لَمن هم غير مستعدين. لهذا ينبغي أن يكون الإنسان في حالة روحية مناسبة لكي يتسلّم الإعلان كمعاينة لله، وليس كعقوبة. إذاً يبدو أن التلاميذ الثلاثة كانوا الأكثر استعداداً لتلقّي الإعلان الإلهي، بينما للآخرين كان ينبغي به أن يبقى متخفّياً ليُكشَف بعد قيامته.

لقد تمتّع التلاميذ الثلاثة ببعض المواصفات التي جعلتهم مستحقين للمشاركة في معاينة الله. فالثلاثة كانوا أرفع منزلة من الباقين (القديس يوحنا الذهبي الفم). تظهر رفعتهم من أن بطرس أحبّ المسيح كثيراً بحرارة إيمان، يوحنا كان محبوباً جداً من المسيح بسبب فضائله المميزة، ويعقوب كان مكروهاً جداً من اليهود، ما سبب مقتله على يد هيرودس (القديس زيغافنوس). في أي حال، إثنان من الثلاثة الحاضرين على طور ثابور عند تلك الساعة الرهيبة شهدوا لهذا الحدث. يكتب الرسول بطرس في رسالته: «لأَنَّنَا لَمْ نَتْبَعْ خُرَافَاتٍ مُصَنَّعَةً، إِذْ عَرَّفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَجِيئِهِ، بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ. لأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ اللهِ الآبِ كَرَامَةً وَمَجْدًا، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ صَوْتٌ كَهذَا مِنَ الْمَجْدِ الأَسْنَى: "هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرِرْتُ بِهِ". وَنَحْنُ سَمِعْنَا هذَا الصَّوْتَ مُقْبِلاً مِنَ السَّمَاءِ، إِذْ كُنَّا مَعَهُ فِي الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ. وَعِنْدَنَا الْكَلِمَةُ النَّبَوِيَّةُ، وَهِيَ أَثْبَتُ، الَّتِي تَفْعَلُونَ حَسَنًا إِنِ انْتَبَهْتُمْ إِلَيْهَا، كَمَا إِلَى سِرَاجٍ مُنِيرٍ فِي مَوْضِعٍ مُظْلِمٍ، إِلَى أَنْ يَنْفَجِرَ النَّهَارُ، وَيَطْلُعَ كَوْكَبُ الصُّبْحِ فِي قُلُوبِكُمْ، عَالِمِينَ هذَا أَوَّلاً: أَنَّ كُلَّ نُبُوَّةِ الْكِتَابِ لَيْسَتْ مِنْ تَفْسِيرٍ خَاصٍّ.» (٢بطرس١:١٦-٢٠).

أمّا يوحنا الإنجيلي فيكتب في رسالته العامة: «اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ. فَإِنَّ الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا.» (١يوحنا١:١-٢).

بالإضافة إلى هذين المقطعين يمكننا أن نشير إلى أن كل النصوص التي كتبها الرسل هي برهان للرؤية الإلهية، ونتيجة لخبرتهم على طور ثابور وفي العنصرة.

في ابتهاجهم لرؤية المسيح متجلياً، قال التلاميذ الثلاثة أيضاً: «فَجَعَلَ بُطْرُسُ يَقُولُ لِيَسُوعَ: يَارَبُّ، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ هُهُنَا! فَإِنْ شِئْتَ نَصْنَعْ هُنَا ثَلاَثَ مَظَالَّ: لَكَ وَاحِدَةٌ، وَلِمُوسَى وَاحِدَةٌ، وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةٌ»، وبعد أن ظللتهم السحابة المنيرة وسُمع صوت الآب، «التَّلاَمِيذُ سَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَخَافُوا جِدًّا.» (متى١٧:٤-٦). يقول آباء الكنيسة (القديس باسيليوس الكبير والقديس يوحنا الذهبي الفم والقديس غريغوريوس بالاماس) أنّهم سقطوا على وجوههم بسبب النور الفائض. إلى هذا، صوت الآب كان رؤية لله، وبالحقيقة رؤية بدرجة أكبر بكثير مما كان للتلاميذ قبلاً. لذا ارتعدوا من النور الفائق العظمة.

تقول النصوص الليتورجية التي تشير إلى هذا الحدث أن التلاميذ أحسّوا حيناً بالخوف وحيناً بالفرح. لكن كما يشرح الآباء، هذا الخوف مرتبط بشدة بالفرح، لأنّه لم يكن خوف عبيد بل خوف أبناء، خوف الكاملين. هناك خوف المبتدئين وخوف الكاملين. المسألة هنا مسألة فرح وتوقير وإكرام للسر العظيم الذي أُعطوا أن يشاهدوه.

١٣) لقد شدّدنا على أنّ النبيَيْن كانا ممثلَيْن للعهد القديم والرسل الثلاثة ممثلين للعهد الجديد. إذاً يظهر بوضوح أن المسيح هو مركز الكتاب المقدس. يصف العهد القديم إعلانات الكلمة غير المتجسّد ويتنبأ بتجسده، والعهد الجديد يصف تجسد ابن الله وكلمته. وليس فقط يقدمه بل يعطي براهين أن باستطاعة البشر المشاركة في التجسد، بمعنى استطاعتهم أن يكونوا أعضاء في جسد المسيح. إذاً، النقطة المركزية في الكتاب المقدس هي المسيح، وبالحقيقة المسيح ممجداً. لهذا السبب علينا ألاّ نتوقّف عند بعض القصص ونستخلص نتائج أخلاقية، مع أنّ هذه ضرورية وبالتأكيد لا يمكن تلافيها، فيما نغفل الرسالة الأساسية للكتاب. وبما أن المسيح هو مركز الكتاب المقدس، الكلمة غير المتجسد والمتجسد، والكنيسة هي جسد المسيح، لذا مَن يُفسِّر الكتاب المقدس من دون خطأ هو الكنيسة والذين يحيون في جو معاينة الله في الكنيسة. المتقدّسون، الذين هم أعضاء حيّة في المسيح، هم المؤهَّلون لتفسير الكتاب.

خلال حدث التجلي، على ما يقول الإنجيلي متى، «أَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ.» (متى١٧:٢). يعطينا الإنجيلي مرقس تفاصيل أكثر بقوله: «وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ تَلْمَعُ بَيْضَاءَ جِدًّا كَالثَّلْجِ، لاَ يَقْدِرُ قَصَّارٌ عَلَى الأَرْضِ أَنْ يُبَيِّضَ مِثْلَ ذلِكَ.» (مرقس٩:٢-٣).

يعلّم القديس غريغوريوس بالاماس أنّ الثياب اللامعة هي حرف الكلمة الإلهية الذي يبدو برّاقاً للذين يرون بالروح أمور الروح. على العكس، إنّ الذين يخمّنون لا يمكنهم أن يشرحوها ولا أن يفهموها، بينما معاينو الله يفعلون. هذا يعني أن معايني الله وحدهم يمكنهم أن يفهموا كلمة الله وكلمة المتقدسين.

أيضاً يعلّم القديس مكسيموس المعترف الأمر نفسه. فهو يقول أن روح الناموس هي النفس، وحرف الناموس هي الجسد واللباس. من دون إهمال اللباس والثياب، على المرء أن يقصد الروح، أي النفس. لهذا، نحتاج لانتباه عظيم عندما ندرس الكتاب المقدس، حتى من جهة، لا نهمل ثيابه، ومن جهة أخرى، حتى لا تصير الثياب فرصة لنا لإهمال وجهه اللامع.

١٤) من الضروري التشديد أيضاً على أن جسد المسيح على طور ثابور، وبالإجمال كل حياته، كان مصدراً لنعمة الله غير المخلوقة، بقوة الاتحاد الأقنومي بين طبيعتيه الإلهية والبشرية. قبل التجسّد، كانت الأقانيم الإلهية مصدراً للنعمة غير المخلوقة، الآن الطبيعة البشرية في شخص الكلمة صارت مصدراً أيضاً. وبالتالي وجه المسيح «صار لامعاً كالشمس». الآباء القديسون يقولون أن الجسد الذي اتّخذه المسيح وقدّسه مماثل لله، بالضبط لأنّه كان مصدراً للنعمة غير المخلوقة. الشمس الحسية تقدّم مثالاً عن التشابه الجزئي. النور كان موجوداً منذ اليوم الأول للخلق، بينما الشمس صارت مصدراً للنور في اليوم الرابع عندما اتحدت بالنور. وهكذا جسد المسيح مماثل لله، كما يقول القديس غريغوريوس بالاماس. هذا يرد أيضاً في النصوص المجمعية والليتورجية.

بالرغم من حقيقة أن الجسد مماثل لله وبالرغم من تقدّسه، إلاّ أنّه لا يتخطّى حدود الطبيعة البشرية ويتحوّل إلى الألوهية. هذا قاله أصحاب الطبيعة الواحدة الذين دافعوا عن أن الطبيعة الإلهية امتصّت الطبيعة البشرية.

من ناحية ثانية، إذا كان الجسد قد تقدّس أيضاً، فقد بقي غير قابل للتغيير ما لم يفقد معالمه الطبيعية ولا حتى الأهواء غير المعابة التي اتّخذها المسيح طوعياً. وهكذا، حتّى بعد تأليه طبيعته البشرية، احتفظ المسيح بما هو انفعالي وقابل للفساد والموت. على الأكيد، تُقال هذه الأمور عن فترة ما قبل القيامة، إذ بعدها رمى المسيح ما كان قابلاً للفساد والموت، أي كل الأهواء غير المعابة.

إن لحقيقة كون جسد المسيح مصدراً للنعمة غير المخلوقة نتائج هامة جداً في حياة الكنيسة. إذ لهذا السبب فقط يمكن لنا أن نشارك في جسد المسيح ودمه. في المناولة الإلهية لا يأخذ الإنسان النعمة الإلهية بطريقة مجرّدة، بل يأخذ جسد المسيح المماثل لله والمصدر للنعمة غير المخلوقة. على الأكيد، هذا يُقال فيما نعي أن ليس كل مَن يتناول من المسيحيين يتقدّس بل فقط الذي استعدّ وهو عضو حقيقي وحيّ في الكنيسة جسد المسيح. تعمل المناولة المقدسة بالتوافق مع حالة الإنسان الروحية.

١٥) في تفسير حدث التجلي، نرى الاختلاف في المشاركة في مجد الله. الجسد الذي اتّخذه المسيح، بقوة الاتّحاد الأقنومي الإلهي مع الطبيعة البشرية، صار مصدراً لنعمة الله غير المخلوقة، وبالتالي صار وجهه لامعاً مثل الشمس. لقد قدّس تلاميذه، وبالإجمال قدّس المستحقين للمشاركة في قوته المؤلِّهة، حتى تكون مشاركتهم بالنعمة والعطف. صارت ثيابه لامعة بالنعمة. لكن الخليقة كلها صارت أيضاً لامعة. يقول القديس قوزما المنشئ في إحدى الطروبريات «أن النور الإلهي الذي لا يُدنى منه الذي ظهر على ثابور أفعم الخليقة بالحياة وقدّس البشر». هذا يعني أن الخليقة صار لامعة وصارت ساطعة، لكن وحدهم المتقدسون منها. هذا يُظهر أن كلّ الخليقة تشترك في مجد الله. لا يمكننا أن نتكلّم عن تألّه الخليقة، بل عن تقديس الخليقة وتألّه الطبيعة البشرية. لا يمكننا أن نضع الخليقة والإنسان في نفس المنظار، لأن الإنسان عاقل، بينما الخليقة غير عاقلة، ولأن الإنسان هو خلاصة كل الخليقة، العالم الصغير في العالم الأكبر.

١٦) يُظهر تجلّي المسيح ما هي الكنيسة كما يُبرز هدفها. تضمّ الكنيسة بين أعضائها الأنبياء والرسل والذين يقبلون لاهوتهم المنير ويجاهدون لامتلاك وجهة النظر نفسها. طبعاً، هناك عدد من درجات المشاركة، لكن ينبغي أن يكون الإنسان في مرحلة التطهر على الأقل، كما أنّ طبيعة الكنيسة وهدفها الحقيقي والأكثر أساسية يظهران بوضوح (من خلال التطهر). حيث يهدف كل عمل الرعاة إلى هذا القصد السامي. إذاً، لا تشكّل القداسة ترفاً للحياة المسيحية، بل هي غايتها السرية وهدفها الأعمق. هذه الحالة هي هدف كل من الأسرار والنسك وعندما ينقطعان عنها يصيران أوثاناً.

النور غير المخلوق هو عيش ملكوت الله، إنّه غذاء السماء. لكن بموازاة هذا هناك التذوق المسبَق للأمور الآتية. يُظهر التجلّي أن ملكوت الله هو الحالة المستقبلية. الإله الإنسان سوف يكون في وسط المتقدسين الذين سوف يتمتعون بحضور الله ومجده بدرجات مختلفة وبمشاركة متفاوتة في النعمة غير المخلوقة. «اَللهُ قَائِمٌ فِي مَجْمَعِ اللهِ. فِي وَسْطِ الآلِهَةِ يَقْضِي» (مزمور٨١:١). المسيح، والثالوث القدوس بشكل عام، سوف يكونون آلهة بالطبيعة، والقديسون آلهة بالمشاركة والنعمة. عليه، الملكوت الآتي، تماماً كما هو حالنا في الكنيسة، ليس حشداً من الناس الأتقياء، بل تجمعاً ولقاءً كنسياً من الآلهة بالنعمة، وبالحقيقة «متألّهين بمَن هو إله بالطبيعة» (القديس سمعان اللاهوتي الحديث).

١٧) كما أنّ كل أعياد السيد ليست كلها خريستولوجية، بل إنسانية وفدائية، أيضاً تجلّي المسيح. بتجلّيه أظهر المسيح تألّه الطبيعة البشرية، وأيضاً مَجَّدَ الذين يتّحدون به. لهذا، حدث التجلّي هو نقطة مركزية في تعليم الكنيسة حول الفداء، لأنّه يظهر هدف وجود الإنسان. لكن، لكي يبلغ المرء خبرة مجد التألّه، عليه أن يمرّ بتطهر قلبه. لهذا ينير المسيح الإنسان على قدر طهارة قلبه.

يقول القديس غريغويوس اللاهوتي بشكل مميز: «لهذا على الإنسان أولاً أن يتطهّر، ومن ثم أن يعاشر الأطهار». وكما مع النور الحسي كذلك مع النور النوسي. كما أن النور المخلوق يعطي النور لعيني الجسد الصحيحتين، كذلك أيضاً النور غير المخلوق يعطي النور للنوس النقي والقلب المستنير (القديس نيقوديموس الأثوسي).

الآباء، في كلامهم عن تجلّي المسيح واشتراكهم في المجد الإلهي، يتحدّثون عن الصعود الشخصي على الجبل ومعاينة الله. هذه هي صرخة الكنيسة الثابتة «أظهرْ لنا نحن الخطأة نورك الأزلي». وفي صلاة مشابهة في الساعة الأولى نحسّ بالحاجة لأن نسأل المسيح «أيها المسيح الضوء الحقاني الذي ينير ويقدّس كلّ إنسان وارد إلى العالم ليرتسم علينا نور وجهك يا رب لكي ننظر به النور الذي لا يُدنى منه ». الصعود والنمو المتواصلان ضروريان. في الكنيسة نتحدّث عن تطور الإنسان، ليس من **قرد إلى رجل**، بل من **إنسان إلى إله**. وهذه «النظرية الكنسية» للتطور تعطينا فهم الحياة وترضي كل مشاكل الإنسان الداخلية وقلقه الوجودي.

يعلّم القديس مكسيموس المعترف أن المسيح لا يظهر للجميع بالطريقة نفسها، بل للمبتدئين كخادم، بينما للسالكين صعوداً إلى جبل المعاينة الإلهية «فيظهر كإله». ما أن رأى التلاميذ الثلاثة على ثابور مجد شخص المسيح حتى اعترفوا «يَارَبُّ، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ هٰهُنَا! فَإِنْ شِئْتَ نَصْنَعْ هُنَا ثَلاَثَ مَظَالَّ: لَكَ وَاحِدَةٌ، وَلِمُوسَى وَاحِدَةٌ، وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةٌ» (متى١٧:٤). يقول القديس مكسيموس المعترف في تفسيره لهذه الرغبة عند التلاميذ أن المظال الثلاثة هي العمل والرؤية واللاهوت. إيليا، كشجاع وحكيم، كان مثالاً للمظلة الأولى (العمل)، موسى كمعط للشريعة وبار كان مثالاً للثانية (المعاينة)، والمسيح السيد كان مثالاً للثالثة (اللاهوت)، لأنّه كان كاملاً في كل شيء.

تظهر في هذا الشرح التحليل مراحل الحياة الروحية الثلاث، التطهّر والاستنارة والتألّه، والتي تشكّل الصعود الروحي للإنسان على طور ثابور. وبالتالي، ليس الأمر مسألة صعود جغرافي بل تطور رمزي. إذا نظرنا بانتباه إلى مجمَل حياة الكنيسة وتعاليم الآباء حول الخلاص نكتشف أنّها كلها تتحدّث بشكل ثابت عن هذه المراحل الثلاث في الحياة الروحية، وهي التي تشكّل الاشتراك المتنوّع للإنسان في نعمة الله. إن لم يكن للحياة الروحية هذا المرجع والتطور، تتحوّل إلى وثن أو أخلاقيات.

يظهر لنا تجلي المسيح ما هو **اللاهوت الأرثوذكسي بالتحديد**. نعرف من تعليم الكنيسة أن اللاهوت ليس معرفة تخمينية وعقلية، بل هو اشتراك الإنسان في القوة المؤلِّهة ورؤية النور غير المخلوق وبالحقيقة، **التـألّه**. عندما نتكلّم عن اللاهوت نعني خبرة الله ومعاينته.

في الختام، علينا أن نذكر أن تجلي المسيح هو الحدث المركزي في حياة المسيح، ولكنّه أيضاً نقطة جوهرية في حياة الإنسان. لهذا ينبغي دراسته لا بأفكار جميلة وأخلاقية وإسراف في العاطفة، بل ضمن إطار اللاهوت الأرثوذكسي. من ناحية ثانية، نحن نعيش في الكنيسة ونحاول لا أن نكون مجرّد أشخاص طيبين، بل آلهة بالنعمة. إن حياة الكنيسة واللاهوت الأرثوذكسي يدعوانا إلى هذه القامة.

مجنون يحكي وعاقل يسمع

إقتحم مجنون مجتمعاً في كنيسة وأمسك العمودين اللذين يرتكز عليهما سقف الكنيسة الضخم وهو يصيح في هستيريا: «**سأهزّهما إلى الأرض وأقتلكم كما قتل شمشون جموع الفلسطينيين**». فخاف الشعب. أما الراعي ففي هدوء صاح يقول للشعب: اتركوه دعوه يفعل.

ولما ابتدأ يضمّ العمودين إلى حضنه لم يستطع ولم يحدث شيء ؛ فهدأ الجميع وخَشيَ الرجل وخجل، **هكذا الإلحاد** إنه مثل ذلك **المجنون** يضع يده على أعمدة الإيمان المسيحي. على التثليث على لاهوت المسيح ، على النور غير المخلوق في التجلي ،على حقيقة صلب المسيح وقيامته ، على كل هذه الحقائق الراسخة ، ويقول **الملحدون سنحطّمها ، سنهدم عمدها** ...

دعهم يجربّون ، وقد جرّب غيرهم ، لكنهم كلّهم فشلوا فشلاً ذريعاً ، إن عشرين قرناً «**نطحت**» صخرة المسيحيّة ، فماذا كان من أثرها؟ تحطّمت القرون العشرون ، وأما صخرة المسيحيّة فباقية إلى الأبد، لأن المسيح قال: «وأبواب الجحيم لن تقدر عليها».

إنّ شبابنا اليوم امتلأوا بالشكوك ، ولو أنهم رفعوا عيونهم الى السماء وتفكّروا في الطبيعة وصانعها لعرفوا أن «السموات تحدّث بمجد اللّه والفلك يخبر بأعمال يديه».

يقال: إنّ **نابليون** كان مرّة على ظهر سفينة ، وكان بعض الموجودين هناك يعرضون نظرياتهم الكفريّة ، فتقدم إليهم هذا القائد العظيم وقد رفع ذراعه نحو الجَلَد ، وقال لهم: «ما أذكاكم أيها الرجال!! ولكن من صنع هذا ؟؟».

أنكرو الشمس إن رأيتم ضياها
يملأ الأرض والسماء شعاعا
أنكـرو البـدر إن رأيتـم محيـا
البدر في الأفـق زاهـياً لمّـاعا
أنكـرو النجـم إن رأيتـم فـؤاد
النـجم يهتز خـافقـاً ملتـاعـا

وفي هذا نرى الفيلسوف الخيام يناجي ربّه فيقول:

أطال أهل الأنفس الباصرة
تفكيرهم في ذاتـك القـادرة
ولـم تـزل يا رب أفهـامهم
حيرى كهُذى الأنجم الحـائرة

الأرثوذكسيّة
قانون إيمان لكل العصور
(٥)

الأب: أنتوني م. كونياريس

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

البرهان على وجود اللّه:

يخطىء الملحد إذا سأل عن دليل لوجود اللّه قبل أن يؤمن. قال بول تليش Paul Tillich إن محاولة إثبات وجود اللّه هي تجديف ، تماماً مثل محاولة الملحد أن ينكر وجوده. لماذا؟ لسبب بسيط ، وهو أننا لا يمكننا أن نشبك اللّه بدبوس ونضعه على المنضدة في المعمل ونُشَرِّحه مثلما نفعل بالضفدعة ، إنه ليس بالغ الصغَر هكذا ، إنه الإله العظيم غير المحدود ، ولكن إن أردنا أن نبرهن على وجود اللّه ، فإنه يجب أن نستخدم وسائل أُخرى: أدوات الإيمان والصلاة وتسليم الحياة له.

بيّناتٌ على وجود اللّه:

اخترعنا على طول الزمان حُججاً لنثبت أن موقف الملحد غير معقول ، وعلى سبيل المثال فقد تناقشنا: "إن كان من المستحيل أن توجد ساعة دون أن يوجد ساعاتي يصنعها ، فكيف يمكن أن يُنظَّم هذا الكون دون وجود سيِّد ينظِّمه؟ ثم كيف تكوَّنت جميع قوانين العالم دون وجود صانع لها؟ إن كان يلزم أن يوجد شخص ذكي جداً ليصمم كمبيوتر ، أما يلزم أن يوجد هذا الذكي ليخلق خلية مخّ واحدة والتي هي أكثر تعقيداً بما لا يقارن عن أعظم كمبيوتر معقّد عرفه الإنسان؟ وإذا كان يلزم أن تتضافر كل القوى البشرية وتتكاتف لصنع قمر صناعي وإطلاقه في الفضاء الخارجي ، أما يلزم وجود شخص ما فائق القدرة ليصنع ويحفظ في مدارات وأفلاك الشمس والقمر وجميع أفلاك السماوات ؟ " .

اعتنق الملحد س. إس. لويس C. S. Lewis المسيحيّة ، ووصف الحجَّة التي دفعته إلى الإيمان بقوله: «إن لم يوجد أحدٌ قد وضع تصميماً للمخ بهدف أن يمكنه أن يفهم ، فيكون المخ إذن مجرَّد ذرَّات داخل الجمجمة تُرتِّب نفسها بطريقة ما لأسباب طبيعيَّة أو كيميائية وتُعطي إحساساً بالتفكير. ولكن إن لم يستطع الإنسان أن يصدِّق تفكيره الشخصي ، فلا يوجد سبب له ليكون ملحداً أو أي شيء آخر. إن لم أُومن أن اللّه هو الخالق الذكي للكون ، فلن أُومن بالتفكير ، وبالتالي فلن يمكنني على الإطلاق استخدام التفكير لأومن باللّه».

يكتب الدكتور لزلي د. وذرهد Dr. Leslie D. Weatherhead للعقول ذات الفكر العملي ويقول: «إنها عقلية غريبة جداً تلك التي تتطلع إلى فوق إلى السماء وإلى النجوم ، ومن أسفل إلى الزهور والنرجس ، والتي يمكنها أن تصغي إلى اللحن الموسيقي لموسيقيٍّ بارع ، أو تدرس هجرة الطيور ، أو تنظر إلى وجه طفل ، أو تلاحظ السلام الغريب الذي غالباً ما يملأ عيون الموتى ؛ ثم تقول بعد ذلك إنه لا يوجد إله»... كتب رئيس الأساقفة وليام تمبل William Temple:«إن المسيحيّة أقامت المستشفيات ، والملحدون يُعا جَون فيها ، دون أن يدروا أنهم مَدينون بشفائهم للسيّد المسيح».يقارن النبي إشعياء الشخص الملحدَ بالمصنوع الذي يقول لصانعه: « لَمْ تصنعني ، وليس لك من فهم» (إش ٢٩:١٦).

إن جميع ا لحُجج التي اخترعناها نحن المسيحيين كدلالات على وجود اللّه هي ليست براهين كافية ، هي فقط عونٌ للمؤمنين. لا يمكن لأحد أن يبرهن على وجود اللّه. إن أمكننا عمل هذا لنثبت وجوده فلا لزوم للإيمان. لا توجد حُجة عقلية مهما كانت صالحة ، كافية لتهدي أي شخص إلى الإيمان إن لم يكن يرغب شخصيّاً في ذلك.

الإلحاد العملي:

عندما نتكلم عن الإلحاد ، فإنه يتبادر إلى ذهننا للتو: «**روسيا**» (كُتبَ هذا الكتاب قبل إندحار الشيوعية) التي فلسفتها الرسمية هي الإلحاد. ولكن هل باقي العالم أقل إلحاداً؟ إن فكرة محاربة اللّه نَشطة جداً في روسيا والصين. نحن في الغرب لا نحارب اللّه، ولكَننا نعمل شيئاً آخر ، إنّنا نتجاهله. لقد صار اللّه نسياً منسيّاً في العمل وفي السياسة وفي الأسرة. أن نتجاهل اللّه أمرٌ أخطر من أن ننكره. وبمعنى آخر ، لقد صرنا ملحدين عمليين. نحن نقول إنّنا نُؤمن باللّه ، ولكننا نعيش كما لو كان اللّه غير موجود، وعلى سبيل المثال ، فإن يهوذا عبَّر عن إلحاده عملياً من خلال عملية انتحاره. إنه أظهر أنه لا يُؤمن بإله غفور مُتسامح. كم يحدث كثيراً أن نتصرَّف كملحدين عمليين؟ إننا لا ننكر وجود اللّه ، ولكننا نتمسّك بأنه لا يمكنه إعادة تشكيلنا، لا يمكنه تغييرنا، لا يقدر أن يقيمنا من القبور التي حَبَسنا أنفسنا فيها. إنّنا نقول إنه لا يستطيع أن يعمل أي شيء لنا ، إنه عاجز. كل شيء يعتمد علينا فقط. هذا هو الإلحاد العملي ، أن نحيا ونعمل كما لو كان لا يوجد إله.

إن كنّا نُؤمن باللّه ، ليتنا نؤمن به ليس بشفاهنا فقط، ولكن أيضاً بقلوبنا وحياتنا. ليتنا نسلك كمؤمنين حقيقيين، نثق بوجوده. نؤمن به لا مثل مَن يريد أن يبرهن عليه من خلال التطلّع من ميكرسكوب،ولكن بتسليمنا كل الحياة له ، بإيمان.

«إنه الطريق للضال. إنه الثوب للعريان. إنه الخبز للجائع. إنه الحرية للأسير. إنه القوة للضعيف. إنه الحياة للميت. إنه الصحة للمريض. إنه النظر للأعمى. إنه الثروة للمحتاج. إنه مسرة دائمة، وكنزٌ لا يُسرَق».

جايلز فلتشر Giles Fletcher

العظات الثمانية عشر لطالبي العمّاد
لأبينا القديس كيرلّس رئيس أساقفة أورشليم
العظة الثالثة - في العمّاد

«أو تجهلوا أنّا ، وقد اعتمدنا في المسيح ، إنما اعتمدنا في موته ؛ قد دفنا معه في المعمودية لنموت فنحيا حياة جديدة ، كما أُقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب» (رو ٦:٣-٤)

١ ـ الإبتهاج بقرب العماد:

«رنمي أيتها السماوات وابتهجي أيتها الأرض» (اشعيا٤٩:١٣). من أجل أولئك الذين «يُنضحون بالزوفى» (مز ٥٠:٩). ويُطهّرن بالزوفى الروحية ، بقوّة ذاك الذي قُدّم له ليشرب على قضيب من الزوفى أثناء آلامه (يو١٩:٢٩ ؛ متى ٢٧:٤٨). لتبتهج القوّات السماوية ، ولتستعدّ النفوس التي ستتحد بالعريس الإلهي ، «لأن هناك صوتاً يصرخ في البرّية: أعدّوا طريق الرب» (أشعيا ٤٠:٣ ؛ متى٣:٣). إن العماد ليس أمراً بسيطاً هيّناً ، ولا عراك أجساد مائع ، ولكنه إختيار حسب الإيمان يقوم به الروح القدس الذي يفحص كل شيء (١كور٢:١٠) إن عقود الزواج لا تعقد دائماً ببصيرة ثاقبة ؛ ولكن حيث يوجد الجمال والغنى يُقبل العريس مسرعاً. أما هنا فبالعكس ، ليس هو جمال الجسد الذي يجذب ، إنما جمال النفس والضمير النقيّ. هنا لا يسعى أحد إلى المال ، بل إلى غنى النفس في التقوى.

٢ ـ ها هو العريس قد أقبل ، فهيّئوا نفوسكم:

لبّوا إذن ، يا أبناء البرّ ، نداءَ يوحنا القائل: «أعدّوا طريق الرب» (يو١:٢٣) ؛ أزيلوا كل عائق وكل حجر عثرة لتسيروا في الطريق المستقيم نحو الحياة الأبدية. طهّروا أواني النفس بإيمان صادق لتقبّل الروح القدس. إبدأوا في غسيل ملابسكم بالتوبة، بحيث اذا دعاكم العروس وجدكم أنقياء. يدعو العروس الجميع بدون تمييز ، لأن نعمته وافرة . العروس نفسه يفرز جميع الذين أتوا الى هذا الزواج الرمزي. ليت لا يسمع ممن سُجّلت أسماؤهم ذلك القول: «يا صاحب ، كيف دخلت الى هنا وليس عليك حُلّة العرس؟» (متى ٢٢:١٢) ، ولكن ليتكم تسمعون جميعاً: «أحسنتَ أيها العبد الصالح الأمين ، كنتَ أميناً على القليل ، فسأقيمك على الكثير: أُدخل نعيم سيّدك» (متى٢٥:٢١). والآن إذ تقفون خارج الباب ، ليتكم تستطيعون أن تقولوا: «أدخَلني الملك أخاديره» (نشيد ١:٣) ، و«تبتهج نفسي في إلهي ، لأنه ألبسني ثياب الخلاص ، وشملني برداء البرّ ؛ كالعروس الذي يتعصّب بالتاج وكالعروس التي تتحلّى بزينتها» (أشعيا ٦١:١٠). إني لا أقول ذلك لكي تكون نفوسكم ـ قبل تلقّي النعمة ـ «لا شائبة فيها ولا تغضّن ولا ما أشبه ذلك» (أفسس ٥:٢٧) ، إذ كيف يمكن أن يتحقّق هذا ، بما أنكم مدعوون لنوال مغفرة الخطايا؟ ولكني أقول ذلك حتى اذا ما تلقيتم النعمة ، تحافظوا على ضمير نقي يساعد على إزدهار النعمة.

٣ ـ قدّروا عظمة العماد:

ان العماد حقاً لأمر مهمّ ، يا إخوة ، فتقدّموا إليه بحرص. ويجب على كل واحد منكم أن يقف أمام اللّه وأمام ربوات جيوش الملائكة. ويجب على الروح القدس أن يختم نفوسكم. إنكم ستجنَّدون في جيش ملك عظيم. فاستعدّوا إذن وكونوا على علم. وارتدوا لا الملابس الناعمة ، بل تقوى النفس بضمير نقيّ. لا تقربوا هذا الغسل كما لو كان الغسل يتمّ بماء عادي. لأن نعمة الروح القدس هي التي توهب مع الماء . فكما أن التقادم التي ترفع في معابد الأوثان ، تدنّس باستدعاء الأصنام ، كذلك يتلقى الماء العادي قوّة مقدّسة باستدعاء الروح القدس والمسيح والآب.

٤ ـ العماد تطهير مزدوج:

بما أن الإنسان مزدوج أي مركّب من نفس وجسد ، فلا بدّ له من تطهير مزدوج: لا ماديّ لما هو غير ماديّ ، وماديّ للجسد. وهكذا يطهّر الماء الجسد ، ولكن الروح القدس يختم النفس. فلنتقرّب إذن إلى اللّه (عبر ١٠:٢٢) لكي يُغسل قلبنا في الروح وجسدُنا بالماء النقي. فالذي سينزل في الماء ، لا يقترب منه كمن يقترب من ماء عادي ، بل من ماء سيمنحه الخلاص بنعمة الروح القدس. لأنه ، بدون الماء ونعمة الروح القدس ، لا يمكنكم أن تكونوا كاملين. لست أنا الذي أقول ذلك ، بل الرب يسوع المسيح ، الذي له القدرة على هذه الأشياء ، إذ يقول: «ما من أحد يمكنه أن يدخل ملكوت اللّه ، إلاّ إذا ولد من جديد» ؛ ويضيف: «وكان مولده من الماء والروح» (يو٣:٣). لا ينال النعمة الكاملة ذاك الذي عُمّد بالماء ، ولكنه لم يتلَقَّ الروح القدس ولا يدخل ملكوت السموات ذاك الذي تعلّم حُسن القيام بأعمال البرّ ، ولكنه لم يتلَقَّ ختم الروح. قد يبدو لكم هذا الكلام جريئاً ولكنه ليس منّي ، أن يسوع هو الذي أصدر هذا القرار ؛ وإليكم الدليل كما ورد في الكتاب المقدس: «كان كورنيليوس رجلاً يخاف اللّه ، فحظي برؤية ملاك الرب يقول له إن صلواته وصدقاته صعدت الى اللّه». وجاء بطرس. ونزل الروح القدس على جميع الذين آمنوا، وأخذوا يتكلّمون بلغات غير لغتهم ويتنبأون (أعمال ١٠:٣-٤، ٤٤ ؛ ١٩:٦) وبعد أن تلقوا نعمة الروح القدس ، يقول الكتاب: «وأمر بطرس أن يُعَمَّدوا باسم الرب يسوع المسيح» (أعمال١٠:٤٨) ، لكي يتلقى الجسدُ النعمةَ بالماء كما تجدّدت النفس بالإيمان.

٥ ـ أهميّة عنصر الماء:

إذا أراد أحد أن يعرف لماذا تُمنح النعمة بالماء ولا تمنح بعناصر

أخرى، فإنه يجد السبب في الكتاب: إن الماء لشيء عظيم، ولا شكّ في أنه أجمل العناصر الأربعة ، التي يتكوّن منها العالم. إن السماء مقرّ الملائكة ، ولكن السماوات ماء. والأرض هي سكن البشر ، ولكنها مصنوعة من الماء. وقبل تكوين أية خليقة من الخلائق التي صُنعت في أيام الخلق الستة ، «كان روح الله يُرفّ على المياه» (تك١:٢). في الأصل العالم كان الماء ، وفي بداية الإنجيل كان الأردن. تمّ تحرّر إسرائيل من نير فرعون عن طريق الماء ، ويتمّ التحرّر من الخطايا بماء العماد وبكلمة اللّه (أفسس ٥:٢٦). وحيث يقام عهد مع أحد يوجد هناك ماء: فبعد الطوفان أقام اللّه عهداً مع نوح (تك٩:٩) ، كما أنه أقام عهداً مع إسرائيل على جبل سيناء ؛ بالماء وصوف قرمزي وزوفى (عبر٩:١٩) ؛ ورفع إيليا الى السماء ، وكان هناك ماء ، إذ هو عبر الأردن ثم رُفع الى السماء في مركبة نارية وخيل نارية (٤ملوك٢:١١). ولا يقدِّم رئيس الكهنة البخور إلا بعد أن يغتسل بالماء (خر٢٩:٤) ؛ وغُسلَ هارون بالماء أولاً ثم نُصّب رئيساً للكهنة (أحبار٨:٦) ، إذ كيف يمكن أن يصلّي للآخرين ذلك الذي لا يطهّر بالماء؟ وكان رمز العماد هو المغسل في داخل الخباء (خر٤٠:٧).

٦ ـ يوحنا يستحق لقب المعمدان:

العماد هو نهاية العهد القديم وبداية العهد الجديد. والمعمِّد الأول هو «يوحنا الذي لم يظهر في أولاد النساء أعظم منه» (متى ١١:١١) ؛ وكان خاتمة الأنبياء «لأن جميع أنبياء الشريعة قد تنبأوا حتى يوحنا» (متى١١:١٣). انه بداية الأعمال الإنجيلية: «في بدء بشارة يسوع المسيح ، ظهر يوحنا في البريّة يعظ بمعمودية التوبة» (مر ١:١–٤) ؛ وحتى إيليا الذي رُفع الى السماء لم يكن أعظم منه. ورُفع أخنوخ كذلك الى السماء ، ولكنه لم يكن أعظم من يوحنا. إني لا أجرؤ أن أقارن الأنبياء بعضهم ببعض ، ولكن إلههم الذي هو إلهنا ، الرب يسوع المسيح ، قال: «ليس في أولاد النساء مَن هو أعظم من يوحنا» (متى١١:١١). إنه لم يقل «في أولاد العذارى» بل «في أولاد النساء» ؛ أنها مقارنة بين خادم عظيم وخدّام آخرين. أما السموّ والنعمة اللذان للإبن ، فيجعلانه فوق كل مقارنة مع الخدّام. هل ترى أي رجل عظيم إختار اللّه في أصل هذه النعمة: إختار رجلاً فقيراً صديقاً للعزلة بدون أن يُبغض البشر ، يلبس ثوباً من وبر الإبل ، ويقتات من الجراد وعسل البرّ ، ويقول أشياء مفيدة وحلوة كالعسل ، ويعطي بحياته الخاصة المثلَ لحياة الزهد والنسك. وما هو أروع من ذلك كلّه أنه تقدّس في بطن أمّه من الروح القدس (لو١:١٥). تقدّس كذلك إرميا النبي بهذه الكيفية، ولكنه لم يتنبّأ في بطن أمّه. يوحنا وحده اهتزّ طرباً في بطن أمّه، وبدون أن يراه بعيني الجسد ، عرف بالروح ربَّه ، وبما أن نعمة العماد كانت الى هذا الحد من السموّ ، فقد كانت بحاجة الى معمِّد عظيم.

٧ ـ إخلعوا الإنسان العتيق:

كان يوحنا يعمّد في الأردن، وكانت أورشليم بأسرها تخرج اليه (متى ٣:٥). لتحظى ببواكير العماد ، لأن أورشليم هي في أصل كل خير. ولكن اعلموا ، يا سكان أورشليم ، كيف ان الذين كانوا يذهبون اليه كانوا يعمَّدون منه: «**بالإعتراف بخطاياهم**». فقد كانوا يطلعونه اولاً على جراحهم ، وكان هو يعطيهم الدواء. والذين كانوا يؤمنون ، كانوا يخلصون من النار الأبديّة. وان كنتم تريدون ان تقتنعوا بذلك، فإنّ عماد يوحنا كان ينقذ من النار ، فاسمعوا ما كان يقول: «يا أولاد الأفاعي ، من علّمكم ان تهربوا من الغضب الآتي؟» (متى٣:٧ ؛ مر١:٥) ؛ لا تكونوا اولاد الأفاعي ؛ ولكن انتم الذين كانوا في الماضي اولادَ افاعٍ ، أُتركوا جانباً حياة الخطيئة، لأن كل ثعبان يجد نفسه في ضيق يترك ما هو قديم ؛ وإذ هو يخلع هكذا بسبب ضيقه ، ما هو قديم ، يحيا بجسد جديد. وهكذا ادخلوا انتم أيضاً من الباب الضيّق (متى٧:١٣–١٤). وبعد أن تكونوا كفّرتم عن خطاياكم بالصيام ، واستعجلتم هكذا النهاية ، «إخلعوا الإنسان العتيق مع أعماله» (كولوسي ٣:٨) ، وردّدوا مع صاحب الاناشيد: «قد نزعت قميصي فكيف ألبسه؟» (نشيد٥:٣). فان كان بينكم من باب المصادفة مراؤون يحاولون نيل اعجاب الناس ويتظاهرون بالتقوى وهم غير مخلصين في قلوبهم ، مقلّدين بذلك **سيمون الساحر** الذي اتى لا لتقبّل النعمة بل للاستفادة من معجزاتها ، فليسمع هؤلاء ما يقوله يوحنا: «ها هي ذي الفأس على أصول الشجر ، فكل شجرة لا تثمر ثمراً طيّباً تقطع وتلقى في النار» (متى ٣:١٠). ان القاضي لا يرحم ، فدعوا عنكم إذن المكر والخداع.

٨ ـ وزّعوا خيراتكم على المحتاجين:

ما العمل أذن؟ وما هي ثمار التوبة؟ «مَن كان لديه ثوبان ، فليقسمهما بينه وبين من لا ثوب له» (لو٣:١١) ؛ (وقد كان معلماً جديراً بالثقة حقاً ، لأنه بدأ بممارسة ما كان يعلّمه. كانت كلماته لا تُرَدّ ، لأن ضميره لم يكن يستنكر ما كان يقوله لسانه). «ومن كان لديه طعام ليعمل كذلك» (لو٣:١٢). أتريد أن تتمتع بنعمة الروح القدس ، ولا تمنح طعاماً حسيّاً للفقراء؟ أنت تسعى وراء الخيرات الكثيرة ، ولا تعطي مثل هذه الأشياء الصغيرة؟ وحتى لو كنت عشّاراً أو زانياً ، فلا تيأس من خلاصك. «فإن العشارين والبغايا يسبقونكم الى ملكوت اللّه» (متى٢١:٣١). ويشهد بولس بذلك إذ يقول: «لا الزناة ولا عبّاد الأوثان ولا الفاسقون ولا الآخرون يرثون ملكوت الله» ؛ «ولقد كان بعضكم على ذلك فغُسلتم بل قدّستم» (١كو٦:٩–١١). انه لا يقول «انتم الآن» ، ولكن «كنتم». إن الخطيئة التي ترتكب عن جهل تُغفر ، ولكن المثابرة في الخبث مرذولة.

٩ ـ عمَّد المسيح في الروح القدس والنار:

كونوا فخورين بالحصول على عماد ابن اللّه الوحيد. ولكن ما بالنا لا نزال نتحدّث عن الرجل؟ ان يوحنا عظيم ، ولكن من هو بالنسبة الى الرب؟ صوتٌ عظيم ، ولكن من هو بالنسبة الى الكلمة؟ مُناد رائع (يو١:٢٣) ، ولكن من هو بالنسبة للملك؟ إنه يعمّد بالماء ، وهذا حسن ، ولكن ما ذلك بالنسبة للذي يعمّد في الروح القدس والنار؟ (متى ٣:١١). لقد عمّد المخلصُ الرسل في الروح القدس والنار ، «عندما انطَلَقَ من السماء بغتة دويٌّ كريح عاصفة فملأ جوانب البيت الذي كانوا فيه ، وظهرت لهم ألسنة كأنها من نار قد انقسمت ، فوقف على كلّ منهم لسان ؛ فامتلأوا جميعاً من الروح القدس» (أعمال ٢:٣–٤).

تتمة العظة الثالثة في العدد القادم

الأمر الذي لا يجهله أحد هو أن الصلاة هي سبب كل الخيرات وهي مرشد للخلاص والحياة الأبدية لهذا فإنه من الضروري أن نتكلم بكل ما نملك من قوة في هذا الموضوع.

هذه العظة ستكون أكثر قبولاً لأولئك الذين إعتادوا أن يحيوا حياه الصلاة مهتمين بعباده الله، أما الذين عاشوا في خمول وتركوا أنفسهم دون ممارسة أية صلاه فإنهم سينتبهون ويدركون مدى ما أصابهم من أضرار؛ المتبقي من حياتهم لن يحرموا أنفسهم من الخلاص (بالصلاة).

بداية نقول أن الصلاة هي حقيقة أساسية بحيث إن كل من يصلي فهو يتحدث مع الله فأنت تتحدث مع الله على الرغم من أنك إنسان فانٍ ولا يستطيع أحد أن ينكر ذلك. لكن أن يتقدم أحدٌ إلى هذه الكرامة بالكلام فقط فهذا أمر غير مقبول لأن هذه الكرامة تسمو عظمه الملائكة، هذا الأمر يدركه الملائكة أنفسهم يظهر الملائكة في نصوص الأنبياء وهم يقدمون تسابيحهم وصلواتهم إلى السيد الرب بخوف ورعده مغطين وجوههم وأرجلهم بورع ومخافة وهم يطيرون بغير أن يبقوا في سكون. هكذا يعلموننا أن ننسى طبيعتنا الإنسانية الفانية وقت الصلاة وننحصر في الغيرة المقدسة ومخافة الله غير مهتمين بالأمور الحاضرة ولكن علينا أن نتشجع ونقف في صفوف الملائكة لنؤدي نفس الصلاة معهم فنحن نختلف عن الكائنات الملائكية في الطبيعة وأسلوب الحياة والحكمة والفهم، أما فيما يخص الصلاة فهو عمل مشترك بيننا (وبينهم)، الصلاة تميزك عن الحيوانات غير العاقلة وتضمك إلي صفوف الملائكة وأسلوب حياتهم وكرامتهم ونبلهم وحكمتهم وفهمهم لو قضى حياته في الصلاة وعبادة الله.

أي شيء أكثر براً من حديث الإنسان مع الله؟ أي أمر أكثر بهاءاً؟ أي شيء أكثر حكمة؟ فلو أن أولئك الذين يتحدثون مع أناس حكماء سيصلون بالحديث المستمر معهم إلى التشبه بهم في أسلوب التفكير فماذا نقول عن أولئك الذين يلهجون بالصلاة لله (دون إنقطاع)؟ ألا تملأهم الصلاة من كل حكمة وكل فضيلة وكل فهم وكل عفة ووداعة. هكذا لا نكون مخطئين إن قلنا إن الصلاة هي بداية كل فضيلة وكل قداسة ولا يستطيع شيء أكثر من الصلاة والتضرع أن يقود النفس الخالية من النعمة إلى التقوى والورع. فالمدينة غير المحصنة بأسوار من السهل جداً أن تقع في أيدي الأعداء هكذا أيضاً فإنه النفس غير المحاطة بأسوار الصلاة من السهل أن يسود عليها الشيطان ويملأها بكل خطية فهو عندما يرى

القديس يوحنا الذهبي الفم

النفس محتمية بالصلوات وقوية فإنه لن يتجرأ على الإقتراب منها لأنه يهرب من قوّتها وثباتها فالصلوات هي التي تمنحها هذه القوة وهي التي تغذي النفس أكثر مما يغذي الخبز الجسد.

والأشخاص الملازمون للصلاة لا يحتملون أن يجوز في فكرهم أي شيء غير ملائم للصلاة، لأنهم يخجلون من الله الذين يتحدثون إليه فيصدّون كل حيل المضاد على الفور لأنهم يعرفون حقيقة الخطية. لأنه ليس من المقبول أن يسلم الإنسان للشيطان ويفتح أبوابة للشهوات الردئية ويتيح للشيطان منفذاً إلى أعماقة التي كانت قبل ذلك بوقت قليل جداً موضعاً لحضور الله، هذا الإنسان الذي كان يتحدث مع الله لتوّه ويطلب أن تدخل النعمة إلى داخل نفوسنا بينما نعمة الروح القدس قد أظهرت محبة وعناية فائقة بنا. إسمع كيف يكون هذا؟ لا يستطيع الإنسان أن يتحدث مع الله بدون نعمة الروح القدس ولكي يستطيع الإنسان أن يحني ركبتية في الصلاة والتضرع فهو يحتاج إلى مؤازرة هذه النعمة التي يجب أن تكون حاضرة وهي التي تحتضن الجهادات الروحية فالحديث مع الله هو أمر سامي يفوق طاقة الإنسان، لهذا فإنه يحتاج إلى نعمة الروح القدس لكي تهبه وتعطيه حكمة وتعرّفه مقدار هذه الكرامة وعظمتها. إذن فعندما ما تدرك أنك تتحدث مع الله بنعمة الروح القدس وأن أبديّتك مرتبطة بالصلاة التي تقدس النفس بواسطة الروح القدس فإنك لن تترك منفذاً للشيطان ليتسلل داخل نفسك. فكما أن أولئك الذين يتحدثون مع الملك ويتمتعون بحديث الشرف والكرامة لا يقبلون التحدث مع المتسولين ؛ هكذا فإن من يصلي إلى الله ويتحدث معه لا يقبل الدخول في حوار مع الشرير ويخطئ. لأن من يترك نفسه **للشيطان وحماقته** هو في الحقيقة **عبد للشهوة**، لكن من يتضع ويحيا في القداسة فإنه يحيا مع الملائكة ويشتاق إلى طريقة حياتهم المجيدة، لهذا فإن قال لي إنسان إن الصلاة هي قوة النفس فهو يدرك الحقيقة. فالجسد بواسطة الأعصاب يتشدد ويتقوى ويجري ويقف ويحيا فإذا قطع أحد هذه الأعصاب يفقد الجسد إتزانه وهكذا فإن النفوس تكتسب بالصلوات المقدسة نعمة وتميزاً وإتزاناً وتركض بسهولة في طريق الفضيلة ، فإن حرمت نفسك من الصلاة فكأنك تطرح سمكة خارج الماء فكما أن الماء هو سبب حياه للسمكة هكذا الصلاة بالنسبة لنفسك، بالصلاة تستطيع أن تسمو عالياً وأن تجتاز إلى السموات وأن تعيش بالقرب من الله. يكفي ما قلناه لكي ندلل على قوة الصلاة المقدسة, لكم من الأفضل ما دمنا نتكلم من الكتاب المقدس

أن نعرف من فم المسيح مقدار النعمة التي نحصل عليه بالصلاة ؛ كل من يريد أن يعيش كل حياته في الصلاة يقول الإنجيل «وقال لهم أيضاً مثلاً أنه ينبغي أن يصلي كل حين ولا يمل» (لو١٨: ١-٨).

لنعرف أيها الإخوة الحكمة المختفية في كلام الروح القدس باحثين على قدر طاقتنا ليس فيما هو أمامنا الآن ولكم أيضاً فيما يمكن أن نناله مستقبلاً. الذين يعملون في البحار ويهبطون للقاع يجلبون إلى السطح أحجاراً كثيرة الثمن ، ونحن إذ نفحص بحر الكتاب المقدس لننزل إلى أعماق الحكمة الروحية على قدر المستطاع فإننا نحضر لكم كنزاً ثميناً ، هذا الكنز يزيّن النفوس أكثر من زينه التيجان المطعمة بالأحجار الكريمة على جباه الملوك لأن بهاء الملوك مرتبط فقط بهذه الحياة الحاضرة بينما من يتوّج نفسه بكلام الروح القدس يكمل مسيرة حياته بأمان في هذا الدهر والدهر الأتي أيضاً ويقف أمام منبر المسيح مبرراً مملوءاً بكل فضيلة وطاهراً من كل شر.

أي كنز يمكننا أن نحصل عليه من أعماق الكتاب المقدس ونحن لم نتلامس بعد مع كل أعماق الحكمة إذ أننا نزلنا فقط إلى العمق الذي تسمح به إمكانياتنا. السيد المسيح هو الذي يجذب الناس نحو الصلاة لتنتفع نفوسهم بها ويسوق مَثَلَ **القاضي الظالم والقاسي** الذي طرح عنه كل خجل وطرد من نفسه مخافة الله على الرغم من أنه كان يكفي أن يستخدم في المثَل شخص عادل ورحوم وعندما يقارن عدله مع محبة الله للإنسان ستظهر أهمية التضرع لأنه إن كان إنسان صالح ووديع يقبل كل من يتضرع إليه من أجل أمر ما فكيف يكون الله بمحبته المطلقة للإنسان، وليس فقط المحبة التي تتجاوز فكرنا ولكن أيضاً التي تتجاوز الملائكة أنفسهم؟ كان يكفي كما قلت أن يستخدم في المثل قاضياً عادلاً ولكنه إستخدم في المثل **قاضياً قاسياً شريراً** وغير محب للناس بل هو إنسان متوحش ولكن الذين يترجونه يظنون أنه سيكون شجاعاً وكريماً معهم - لكي تدرك أنّ كلّ توسّل حتى ولو كان موجّهاً إلى إنسان قاس لا يعرف الرحمة فمن السهل أن يشملة بالشفقة والرحمة. إذن لماذا ضرب المسيح هذا المثل؟ لكي لا يتجاهل أحد مدى فاعلية الصلاة ولهذا ساق مثل الأرملة في تضرعها إلى أكثر الناس قسوة. وحين أظهر الظالم رحمة على عكس طبيعته - حول المسيح الحديث من موضوع القاضي الظالم إلى صلاح أبية السماوي الوديع والشفوق ومحب البشر الذي يغفر الخطايا الكثيرة الذي يُجَدَّف عليه في كل يوم ويصبر، يحتمل إهانات لأسمه المبارك وتجديف على إسم إبنه فبينما هو يُجَدَّف عليه يحتمل بكل وداعة، وإن رآنا نسجد أمامه برعدة فهو يرحمنا ويعفو عنا سريعاً؟ إسمعوا ما يقول قاضي الظلم « إن كنت لا أخاف الله ولا أهاب إنساناً فإني لأجل أن هذه الأرملة تزعجني أنصفها لئلا تأتي فتقمعني» (لو:١٨: ٤-٥).

فماذا نقول؟! إن الأرملة بتضرعها حملت هذا القاضي على العدل لقد ترفّق بها هذا **الوحش القاسي** إن كان غير الرحوم قد أثرت فيه الأرملة بتوسلها إليه فكم من العطايا وكم من محبة البشر سوف يظهرها الله لنا، إنه الوحيد الذي يريد أن يرحم على الدوام وألا يعاقب أبداً، ومن أين تأتي العقوبات أمام كل هذه المحبة التي أظهرها تجاهنا نحن الذين أعَدَّ لنا كرامات كثيرة ،بالمخافة التي تعوقنا عن فعل الشر وعلى رجاء التكريم الذي يجعلنا نحيا الفضيلة.

لا أستطيع أن لا أفكر في قاضي الظلم وأرى فيه وداعة على عكس طبيعته - لأنه وإن كان لم يرد أن يظهر في وقت ما من حياته شيئاً حسناً - نجده فجأة يغير إتجاهه ويرحم المرأه التي توسلت إليه ألا تضمن لنا الصلاة عناية خاصة من الله؟ يستطيع الإنسان أن يعرف مقدار القوة والفاعلية التي تتحقق بالصلوات المقدسة عندما ينظر ويلاحظ مقدار الخيرات التي يتمتع بها كل يوم، بل كل ساعة أولئك الذين ألقوا بأنفسهم أمام الله، من يجهل نور الشمس والنجوم والقمر والأهوية الحسنة وغذاء الفكر والحياة وأمور كثيرة التي يمنحها الله للأبرار والأشرار بسبب محبته الكبيرة لنا؟! إذن لو أن أولئك الذين لا يتضرعون ولا يطلبون يرحمهم الله ويخفف عنهم، فكم بالحري أن يتمتع بالخيرات أولئك الذين يقدمون الصلوات والتضرعات لله كل أيام حياتهم؟! كم من الأبرار إستطاعوا بصلواتهم أن ينقذوا شعوباً ومدناً وكل المسكونة لنتذكر هذا. عندما نتحدث عن الصلاة فإن أول من يستحق الذكر هو القديس بولس الذي لا يكف عن الصلاة إلى الله حارس كل المسكونة فبصلاته وبتضرعه المستمر أنقذ كل الأمم فهو يقول لنا « بسبب هذا أحني ركبتي لدى أبي ربنا يسوع المسيح الذي منه تسمى كل عشيرة في السموات وعلى الأرض لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطل ليحل المسيح بالإيمان في قلبوكم »(أفسس ٣: ١٤-١٧).

القاضي الظالم والقاسي

كم هي عظيمة قوة الصلاة والتضرع. البشر هم هياكل المسيح فكما تصنع بيوت الملوك بالذهب والأحجار الكريمة والمرمر هكذا الصلاة تصنع هياكل المسيح يقول الرسول بولس « ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم » وأي مدح تمدح به الصلاة أعظم من أنها تصنع هياكل له؟ هذا الذي لا تسعه السموات يأتي ويسكن في النفس بالصلاة «السموات كرسيِّي والأرض موطئ قدميَّ أين البيت الذي تنبون لي؟ يقول الرب وأين مكان راحتي؟ » (أش ٦٦ :١). الرسول بولس يبني البيت بالصلوات المقدسة فيقول «أحني ركبتي لدى أبي ربنا يسوع المسيح ليحل بالإيمان في قلوبكم» وهنا يستطيع الإنسان أن يرى قوة الصلوات المقدسة : إن بولس الذي جال كل المسكونة كما لو كان يطير بأجنحة وأيضاً إحتمل الجلد وقيّد بسلاسل حديديّة وعاش في آلام وأخطار، أخرج شياطين وأقام موتى وشفى مرضى لكنه في كل هذه الأمور إعتمد فقط على الصلوات المقدسة لأجل خلاص البشر، لقد صارع في الصلاة مثل مناضل على مسرح المصارعة لينال الإكليل؛ فإقامة الموتى وعمل المعجزات الأخرى هي عطية الصلاة. ومثل أهمية المياة للأشجار هكذا تكون أهمية الصلاة لحياة القديسين.

وفي مساء اليوم الذي جُلِدَ فيه صلى بولس فإرتوت نفسه وإحتملت الضيقات بمسرة وأعطى ظهره للجلد كما لو كان تمثالاً. هكذا سُجِنَ في مقدونية وإنحلت القيود بصلواته وأنقذ السجان من خطاياه هكذا أيضاً أبطل طغيان الشياطين. ولذلك يكتب للجميع «واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بشكر مصلين في ذلك لأجلنا نحن أيضاً ليفتح لنا الرب باباً لنتكلم بسر المسيح الذي من اجله أنا موثق أيضاً» (كولوسي ٤:٢-٤). ماذا يقول؟ أتعطينا الصلاة دالة بهذا المقدار حتى نتضرع إلى الله من أجل بولس؟ أي جندي يستطيع أن يترجى الملك من اجل قائد الجيش؟على الرغم من أنه لا يوجد ضابط صديق للملك على قدر علاقة بولس بالله هكذا تعطينا الصلوات كل هذه الكرامة حتى نستطيع أن نتجرأ ونطلب من أجل بولس.

وأيضاً فإن العظيم بطرس خرج من السجن بنور من السماء، ومن المؤكد أن هذا بسبب فضيلته وبسبب صلوات الكنسة لقد فتحت أبواب السجن المحكمة على الفور لأن لوقا لم يضف مصادفة أن الصلاة قد صارت من كل الكنيسة من اجل بطرس بل لكي نتعلم نحن أيضاً فاعلية الصلاة عند الله حتى انها خلصت بولس وبطرس من الأخطار، وهما أعمدة الكنيسة، وقمم الرسل المعروفين في السماء، وحصن المسكونة، الحرس المشترك لكل أرض ولكل بحر. أخبرني كيف أنقذ موسى الإسرائيليين. ألم يسلم الأسلحة وقيادة الجيش لتلميذه وواجه هو جموع محاربية بالصلوات؟ هكذا عرفنا أن لصلوات الأتقياء قوة أعظم بكثير من الأسحلة والأموال والمعسكرات لهذا فإن جيشاً ومدناً بأكملها صار لها خلاص بصلوات موسى النبي لأنه حين كان موسى يصلي كان شعب إسرائيل ينتصر وعندما كان يتوقف عن الصلاة كان ينتصر محاربوه. وهكذا نحن أيضاً عندما نصلي نهزم الشيطان بسهولة ولكن عندما نهمل الصلاة يقوى علينا الشرير. وعندما هجر الشعب تقواة أُنقذ بصلوات موسى وبالظهورات الإلهية وأمور أخرى كثيرة؛ الصلاة أبطلت قوة النيران وقوة وحوش ضارية هذا ما حدث مع الفتية الثلاثة ومع دانيال النبي.

يتضح لنا من كل هذه الأمور أنه عندما يتعرض الإنسان لخطر ما فمن السهل أن تنقذه الصلاة ، الصلاة هي بداية الخلاص وسفير لخلود النفس ، سور الكنيسة الحي الحارس الذي لا يتزعزع ولا ينهزم، الصلاة مفزعة للشياطين وخلاص لنا نحن الأتقياء.

الصلاة هي سبب ولادة النبي القديس صموئيل لأن الطبيعة حرمت أمه أن تلد، ولكن بواسطة الصلاة تغير عقم الطبيعة ؛ هذا هو ثمرة الصلاة هذا هو النبي الذي نما بالصلاة هكذا صار صموئيل معروفاً في السماء وأعلى من أي إنسان ، متشبة بالملائكة لأنه كن يجب أن يظهر كثمرة بمعنى أن يفوق الجميع من جهة الصلاح وطرق الفضيلة وأن يفوق من سبقه من القديسين كما تتميز وتنفرد السنابل الناضجة في حقول القمح.

بالصلاة صدّ داود حروباً كثيرة دون أن يحرك أسلحة أو يطلق رماحاً، ولكن الصلوات فقط هي التي سندته. بالصلاة جعل حزقيا جموع الفرس يهربون هؤلاء حاصروا أسوار المدينة بآلات الحرب وأما هو فأقام سوراً أُخر بالصلوات إنتهت الحرب بالصلاة فقط دون إستخدام أسلحة لم يسمع صوت نفير ، ظَلّ الجيش هادئاً ولم تتحرك الأسلحة والأرض لم تُلطخ بالدماء ، كانت الصلاة كافية لإثارة الخوف في نفوس الأعداء. الصلاة أنقذت أهل نينوي ورجع الغضب عنهم وإقتلعت حياه الفساد من جذورها. الصلاة لها قوة وفاعلية حتى أن أهل نينوي بينما كانوا يعيشون حياة الخطيئة والشرّ حتى ذلك الحين لكنهم بمجرد أن إنتشرت الصلاة في المدينة غيرت كل شيء ونشرت الوداعة والبر والمحبة والوفاق ورعاية الفقراء وكل الأمور الحسنة الأخرى.

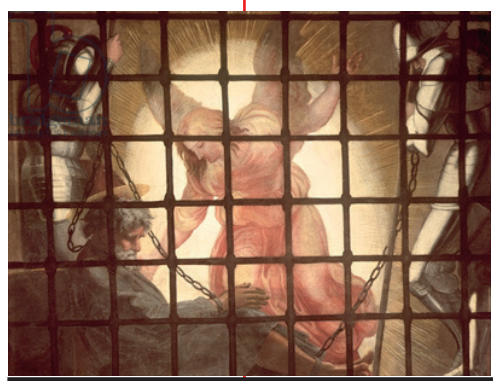
الملاك يوقظ القديس بطرس في سجنه

عندما يدخل ملك إلى مدينة ما فمن الطبيعي أن يتبعه كل غنى وصولجان هكذا أيضاً عندما تملك الصلاة داخل النفس تحضر معها كل فضيلة وبر، وكما أن أساس البيت ضروري جداً للبيت هكذا فإن الصلاه هامة جداً لبناء النفس. لذا يجب أن تدخل الصلاة كأساس إلى أعماق النفس وينبني عليها الوداعة واللطف والتقوى ورعاية الفقراء وكل ما يوصي به السيد المسيح. هكذا يجب أن نحيا من أجل وصاياه ونؤهل للخيرات السماوية والرأفة ومحبة البشر اللواتي لربنا يسوع المسيح الذي له مع أبيه الصالح والروح القدس المجد والقوة إلى أبد الآبدين ... أمين

حربٌ بين الحيوانات والطيور

تلك هي عظمة الناس التي ترمز إليها هذه القصة الطريفة:

قامت حرب بين الحيوانات والطيور ، وكان بين الجموع المتحاربة «**وطواط**»، هجمت الحيوانات على الطيور تفتك بها ، فجمع الوطواط جناحيه وقال: «**لستُ طيراً فإني حيوان**» ، فلما جاء دور إنقضاض الطيور على الحيوانات وانتصرت عليها نشر جناحيه وقال: «**لستُ حيواناً فإني طائر**» .

وما أكثر **الوطاويط في العالم الذين يفهمون الحياة والعظمة فيها هذا الفهم** : **النفعيّة ، محبّة الذّات ، الأخـذ ، بأيّ أسلـوب وعلى كـلّ لون.**

«كل الأشياء تحلّ لي ، لكن ليس كلّ الأشياء تُوافق. كلّ الأشياء تحلّ لي ، لكن لا يَتَسلّط عليّ شيء»

نحن في مواجهة طوفان حقيقي من الصور. أصبح في مقدور بلايين البشر أن تستقبل قدراً هائلاً من الصور الناتجة عن التقنيات الحديثة، سواء كانوا فقراء أو أغنياء يمتلكون في بيوتهم أحدث أجهزة التليفزيون واستقبال الفضائيات وأحدث أجهزة الكمبيوتر القادرة على الاتصال بشبكة المعلومات العالمية.

الصور تحمل عالم خيالي يحل محل العالم الحقيقي، فالمشاهد يُعاد تشكيل فكره وعقله لخدمة أغراض وأهداف معينة. الصورة تفصل المشاهد عن ماضيه وثقافته وقناعته الدينية والفكرية وتُعيد تشكيل هويته لتتفق مع مجتمع يتسق مع أغراض وأهداف وتوجّه التيار المهيمن والمروّج لهذه الصور. لقد ساهمت التكنولوجيا في تقديم التقنيات السريعة والدقة وتوفير الجهد والوقت فارتبطت بالاستهلاك السريع استجابة لمتطلبات السوق.

وعالم الصور يخدم اقتصاد السوق الذي يتعامل مع البشر كمستهلكين، وسلع للاستهلاك، فالصور تروّج لثقافة الاستهلاك التي اخترقت كل مناحي الحياة. هكذا تلتهم ثقافة الصور الوجود الإنساني الأصيل وتستبدله بعالم بديل هو عالم مرئي يحاصر الكائن الإنساني بطريقة لا مثيل لها. فهذا العالم المليء بالصور يُعيد الصياغة الثقافية للبشر تبعاً لإرادة صانعي الصور ومروّجيها. لقد أنتج هذا العالم تقاليد وافدة في الطعام والشراب واللباس والمسكن وحتى في السلوك العام اليومي. هذا ما يُفسر الفجوة الهائلة بين الأجيال، فأولادنا يتحدثون لغة لا نفهمها ويفكرون بطريقة غريبة هي نتاج هذه الثقافة المهيمنة. لقد تراجع دور الإنسان المتأمل المتفكر وأمام طوفان الصور المنسكبة عليه والإنجازات التكنولوجية التي تخفي ورائها عجز الإنسان وسلبيته وفشله في الاحتفاظ بالريادة وحرية إختيار الطريق.

ينبغي علينا أن نستنير بنور الله في قلوبنا وعقولنا لكي نميز الرسائل المستترة خلف طوفان الصور.

والقديس مكاريوس يشرح لنا احتياج الجسد وكذلك احتياج النفس موضحاً أهمية الأشياء الخارجة عن الجسد مثل الملبس والطعام والشراب وكذلك إحتياج النفس للطعام والشراب الروحي، قائلاً: «حينما صنع الله جسدنا هذا فإنه لم يمنحه أن تكون له حياة، لا من طبيعة الله الخاصة ولا أن يحيا الجسد بذاته، هكذا دبر له الطعام والشراب واللباس والأحذية، وهكذا عيّن الله لأن يأخذ كل حاجات الحياة من الخارج إذ أنه صنع الجسد نفسه عرياناً. ولا يمكن للجسد أن يعيش بدون الأشياء الخارجة عنه، أي بدون الطعام والشراب واللباس، فإن حاول أن يعتمد على طبيعته وحدها دون أن يأخذ شيئاً من الخارج فإنه يضمحل ويموت. وهذا هو نفس الحال بالنسبة للنفس أيضاً فهي لا تملك النور الإلهي رغم أنها مخلوقة على صورة الله وهكذا نظم الله أحوالها وقد أراد بألا تحصل على الحياة الأبدية من طبيعتها الخاصة، ولكن من لاهوته، أي من روحه، من نوره، تنال طعاماً وشراباً روحانياً، ولباساً سماوياً وهذه هي حياة النفس أي الحياة بالحقيقة» (عظات ق. مقاريوس الكبير، عظة ١٠:١).

هنا نجد أن الإنسان يحتاج إلى أمرين: ١) أشياء مادية خارجة عنه ويحتاجها الجسد. ٢) أمور أخرى روحية تحتاجها نفسه.

والإنسان المعاصر أمام طوفان الصور لا يجد فرصة للالتفات تجاه الأمور الروحية التي تحتاجها النفس. الإنشغال كله منصب ناحية الأمور الجسدية. إذن علينا أن لا ننحاز لجانب على حساب الجانب الأخر. فالجسد يحتاج إلى طعام وشراب وملبس ولكن النفس أيضاً تحتاج إلى أستنارة روحية وغذاء روحي. هنا التوازن مطلوب بين الاثنين لكي يستطيع الإنسان أن يكتسب روح التمييز، ولكي يعرف ما يبني وما لا يبني. فوسائل الاتصال الحديثة والأجهزة المرئية **والقنوات الفضائية كلها ليست شراً في حد ذاته**. ولكن استخدام هذه التقنيات هو الذي يحدّد ما إذا كانت للخير أم للشر.

الإنسان المستنير هو الذي لديه القدرة على التميز وعلى الحفاظ على وقته فلا يهدره أمام برامج وأفلام ليست لها قيمة. هذا الإنسان هو الذي يحدّد بنفسه هل من اللائق أن يستقبل صور معينة لطبعها في ذهنه أم لا. والرؤية والسمع والتحدث كل هذه **نعمٌ أنعمَ** بها الله على الإنسان، ولكن على الإنسان أن يحافظ على هَذه **النعم** من **التلوث السمعي والبصري واللغوي**. لن ينجح الإنسانَ في مهمته هذه ما لم **يتقبل نعمة من الله ومعونة تؤازره في حياته**. هذا هو الطرح المسيحي الذي تنادي به المسيحية. لذالك **على أولادنا الإقتداء بالنحل ، التي تجني الرحيق من الأزهار ، وتنبذ عنها كل شوك ضارّ .**

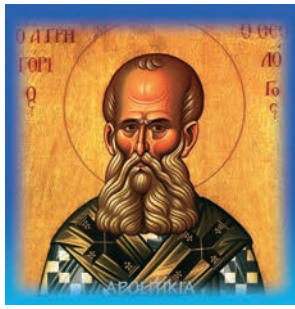

تدبير اللّه للخلاص

للقديس غريغوريوس اللاهوتي

عظة روحيّة في غاية الروعة والجمال

المسيح من أجل عظمة محبّته طأطأ السموات وانحدر آخذاً صورة عبد من دماء العذراء ، ليعيد آدم الساقط

بعد أن عاقب الله الإنسان أولاً ـ بطرق كثيرة، لأن خطاياه كانت كثيرة (من التي نبتت من جذر الشرّ، والتي نشأت من أسباب مختلفة وفي أزمنة متفرقة)، أدّبه بالقول، والناموس، والأنبياء، والإحسانات، والتهديدات، والفيضانات والنيران، والحروب، والإنتصارات، والهزائم، والعلامات في السماء، وعلامات في الهواء وفي الأرض وفي البحر، وبتغييرات مفاجئة للرجال والمدن والشعوب ـ كل هذه الأمور كانت تهدف لإبادة الشرّ ـ وأخيراً إحتاج الإنسان لدواء أكثر قوة لأن أمراضه كانت تزداد سوءً: مثل قتل الأخ والزنى والقسم الكاذب، والجرائم الشاذة، وأول وآخر كل الشرور أي عبادة الأصنام وتحويل العبادة إلى المخلوقات بدلاً من الخالق (انظر رو١:١٨-٣٢). وبما أن هذه كانت تحتاج إلى معونة أكبر، لذلك حصلت على مَن هو أعظم.

ذلك هو كلمة الله ذاته الأبدي الذي هو قبل كل الدهور، وهو غير المنظور، غير المفحوص وغير الجسدي، البدء الذي من البدء، النور الذي من النور، مصدر الحياة والخلود، صورة الجمال الأصلي الأول، الختم الذي لا يزول، الصورة التي لا تتغير، كلمة الآب وإعلانه[1]، هذا أتى إلى صورته[2]، وأخذ جسداً لأجل جسدنا، ووحّد ذاته بنفس عاقلة لأجل نفسي لكي يطّهر الشبه بواسطة شبهه، وصار إنسانًا مثلنا في كل شيء ماعدا الخطية إذ وُلد من العذراء التي طُهّرت أولاً نفساً وجسداً، بالروح القدس (لأنه كان يجب أن تُكرم ولادة البنين وأيضاً أن تنال العذراوية كرامة أعظم)، وهكذا ظلّ إلهًا من بعد اتخاذه للطبيعة البشرية، شخص واحد بطبيعتين، أي الجسد والروح ألّه الجسد. يا لَهُ من اختلاط جديد، الكائن بذاته يأتي إلى الوجود، غير المخلوق يُخلق[3]، غير المحوي يُحوى بواسطة نفس عاقلة تتوسط بين الألوهة والجسد المادي. ذاك الذي يمنح الغنى يصير فقيراً، لأنه أخذ على نفسه فقر جسدي، لكي آخذ غنى ألوهيّته. ذاك الذي هو مليء يخلي نفسه، لأنه أخلى نفسه من مجده لفترة قصيرة، ليكون لي نصيب في ملئه. أي صلاح هذا؟! وأي سرّ يحيط بي؟! إشتركتُ في الصورة؛ ولم أصنها فإشترك في جسدي لكي يخلّص الصورة ولكي يجعل الجسد عديم الموت. هو يدخل في شركة ثانية معي أعجب كثيراً من الأولى، وبقدر ما أعطى حينئذ الطبيعة الأفضل، فهو الآن يشترك في الأسوأ[4]. هذا العمل الأخير (التجسد) يليق بالله أكثر من الأول (الخلق)، وهو سامي جداً في نظر الفاهمين.

ما الذي سوف يقوله المعترضون والمجدفون على الألوهية، أولئك المشتكون ضدّ كل الأمور الجديرة بالمديح، أولئك الذين يجعلون النور مظلماً، والذين لم يتهذبوا بالحكمة، أولئك الذين مات المسيح لأجلهم باطلاً، أولئك المخلوقات غير الشاكرة الذين هم من صنع الشرّير؟ هل تحوّل هذا الإحسان إلى شكوى ضدّ الله؟ هل تنظر إليه على أنه صغير بسبب أنه اتضع لأجلك؟ وهل تعتبره صغيراً لأنه هو الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف (يو١٠:١١)، والذي أتى ليطلب الخروف الذي ضلّ فوق التلال والجبال والتي كانت تقدم فيها ذبائح لآلهة غريبة، وعندما وجده، حمله على منكبيه ـ اللتين حمل عليهما خشبة الصليب، وأعاده إلى الحياة الأسمى، وعندما أعاده حَسِبَه مع أولئك الذين لم يضلّوا أبداً؟ هل تحتقره لأنه أضاء سراجاً الذي هو جسده، وكنس البيت، مطهراً العالم من الخطية، وفتش عن الدرهم، أي الصورة الملكية التي دُفنت وغطتها الشهوات. وجمّع الملائكة أصدقاءه؛ عندما وجد الدرهم جعلهم شركاء في فرحه والذين جعلهم أيضاً مشاركين في سر التجسد؟ فبعد سراج السابق الذي أعّد الطريق، يأتي النور الذي يفوقه في البريق، وبعد «الصوت» أتى «الكلمة» وبعد صديق العريس جاء العريس، صديق العريس الذي أعد الطريق للرب شعباً مختاراً، مطهراً إياهم بالماء ليجهزهم للروح القدس؟ هل تلوم الله على كل هذا؟ هل على هذا الأساس تعتبره وضيعاً لأنه شدّ الحزام على وسطه وغسل أرجل تلاميذه (يو١٣:٤)، وأظهر أن التواضع هو أفضل طريق للرفعة؟ لقد اتضع لأجل النفس التي إنحنت إلى الحضيض لكي يرفعها معه، تلك النفس التي كانت تترنح لتسقط تحت ثقل الخطية؟ كيف لا تتهمه أيضاً بجرم الأكل مع العشارين وعلى موائد العشارين (انظر لو٥:٢٧)، وأنه يتخذ تلاميذاً من العشارين، لكي يربح ... وماذا يربح؟ خلاص الخطاة. وإن كان الأمر هكذا، فيجب أن نلوم الطبيب بسبب أنه ينحني على الجروح ويحتمل الرائحة النتنة لكي يعطي الصحة للمرضى، أو هل نلوم ذاك الذي من رحمته ينحني لكي ينقذ حيواناً سقط في حفرة كما يقول الناموس (انظر تث٢٢:٤، لو١٤:٥).

المسيح أُرسل، لكنه أُرسل كإنسان لأنه من طبيعة مزدوجة[5]. لأنه شعر بالتعب وجاع وعطش وتألم وبكى حسب طبيعة كائن له جسد. وإذا استعمل تعبير «أُرسل» عنه، فمعناه أن مسرة الآب الصالحة يجب أن تعتبر إرسالية، فهو يرجع كل ما يختص بنفسه إلى هذه الإرسالية، وذلك لكي يكرم المبدأ الأزلي وأيضاً لأنه لا ينبغي أن يُنظر إليه على أنه مضادّ للّه. فقد كتب عنه أنه سُلم بخيانة وأيضاً سلّم ذاته، وأيضاً كتب عنه أنه أُقيم بواسطة الآب وأنه أُصعد، ومن جهة أخرى أنه أيضاً أقام ذاته وصعد. فما ذكر أولاً في كل عبارة فهو من إرادة الآب (أنه سُلِّم وأنه أُقيم)، أما الجزء الثاني من كل عبارة فيشير إلى قوّته هو. فهل تفكر في الأمور الأولى التي تجعله يبدو وضيعاً، أما الثانية التي ترّفعه فأنت تتغافل عنها. وتضع في حسابك أنه تألم، ولا تحسب أن هذا

الألم تم بإرادته. انظر فحتى الآن لا يزال الكلمة يتألم. فالبعض يكرمونه كإله ولكن يخلطون بينه وبين الآب، والبعض الآخر يحقرونه كمجرد جسد ويفصلونه عن اللاهوت. فعلى مَن يصب جام[٦] غضبه بالأكثر؟ أو بالأحرى مَن هم الذين يغفر لهم؟ هل الذين يخلطونه بطريقة خارجة أم أولئك الذين يقسمونه؟ فالأولون كان يجب أن يميزوا (بين الأقانيم) والآخرون كان يجب أن يوحدوه (مع الآب)[٧]. الأولون من جهة عدد الأقانيم والآخرون من جهة الألوهية. هل تتعثر من جسده؟ هذا ما فعله اليهود. ربما تريد أن تدعوه سامريًا ؟ ولن أذكر ما قالوه عن المسيح بعد ذلك (انظر يو٨:٤٨) هل تنكر ألوهيته؟ هذا لم يفعله حتى الشياطين. للأسف كم أنتَ **أقل إيمانًا من الشياطين! وأكثر جهلاً من اليهود!** فهؤلاء اليهود قد فهموا أن اسم **إبن** يدل على أنه مساوي في الرتبة (أي مساوي لله)، أما أولئك الشياطين فعرفوا أن الذي طردهم هو إله، لأنهم إقتنعوا بذلك بسبب ما حدث لهم. أما أنت فلا تعترف بالمساواة ولا تقر بلاهوته. كان من الأفضل أن تكون إما يهوديًا أو شيطانًا (لو عبّرت عن ذلك بطريقة مضحكة) عن أن يتسلط على ذهنك الشر والكفر وأنت أغلف وبصحة جيدة.

بعد قليل سوف ترى يسوع ينزل ليتطهر في الأردن (مت٣:١٧) لأجل تطهيري أنا، أو بالحري ليقدس المياه بطهارته (لأنه لم يكن في إحتياج إلى التطهير ذاك الذي يرفع خطية العالم). وإنشقت السماوات، وشهد له الروح الذي من نفس الطبيعة الواحدة معه؛ وسنراه يُجرب وينتصر على التجارب ويُخدَم من الملائكة (انظر مت٤:١١)، ويشفي كل مرض وكل ضعف (مت٤:٢٣)، ويمنح الحياة للأموات (وليته يهبك الحياة أنت الذي مُتَّ بسبب هرطقتك)، ويطرد الشياطين (مت٩:٣٣) أحيانًا بنفسه وأحيانًا أخرى بواسطة تلاميذه. ويُطعم بخبزات قليلة آلاف من البشر (مت١٤:١٤)، ويمشي على البحر كأرض جافة (مت١٤:٢٥)، ويُسلّم ويُصلب صالبًا خطيتي معه، وقُدِّم ذبيحة كحمل، وأيضًا قَدَّمَ ذاته ككاهن يُقَدِّمُ ذبيحة، ودُفن كإنسان وقام ثانية كإله، ثم صعد إلى السموات لكي يعود ثانية في مجده. كم من الأعياد توجد لأجلي في كل سر من أسرار المسيح! وغاية كل هذه الأسرار تجديدي وتكميلي أنا لكي أرجع إلى حالة آدم الأولى.

إذًا، أرجوكم إقبلوا حمله في داخلكم (كما حملته العذراء في بطنها)، وإقفزوا فرحًا أمامه إن لم يكن مثل يوحنا المعمدان وهو في بطن أمه (لو١:١)، فعلى الأقل مثل داود أمام تابوت العهد (٢صم٦:١٤). وعليك أن تحترم الإكتتاب الذي بسببه كُتبتَ أنت في السموات، واسجد للميلاد (لو٢:١-٥) الذي بواسطته فُككت من ولادتك الجسدية، واكرم بيت لحم الصغرى التي أرجعتك مرة أخرى إلى الفردوس، واسجد لطفل المذود الذي به تغذيت باللوجوس (الكلمة) بعدما كنت ضالاً. اعرف قانيك كما يعرف الثور قانيه، والحمار معلف صاحبه، حسب قول إشعياء (١:٣)، ذلك إن كنت من الطاهرين الذين يكرمون الناموس وينشغلون بترديد أقواله باحترام، واللائقين للذبائح. أما إن كنت من أولئك الذين لا يزالون نجسين ولم يكن يحق لهم أن يأكلوا من المقدسات، وغير لائقين لتقديم الذبائح، وهم من الأمم الوثنيين، فإسرع مع النجم وقدم هدايا مع المجوس ذهبًا ولبانًا ومرًا كما لملك وإله ولواحد قد مات لأجلك. مجّده مع الرعاة، وسبحه مع خورس الملائكة، ورتل تسابيحك مع رؤساء الملائكة. فليكن هذا الإحتفال مشتركًا بين القوات السماوية والقوات الأرضية. لأنني أؤمن أن الأجناد السماوية يشتركون في التمجيد معنا، ويحتفلون بالعيد العظيم معنا اليوم، لأنهم يحبون البشر ويحبون الله، كما كتب داود عن أمثال هؤلاء الذين صعدوا مع المسيح بعد آلامه لكي يستقبلوه وهم ينادون أحدهم الآخر ان يرفعوا الأبواب الدهرية (مز٢٣:٧-٩).

هناك أمر واحد فقط مرتبط بمناسبة ميلاد المسيح، أريدكم أن تبغضوه، ألا وهو قتل الأطفال على يد هيرودس، أو بالحري يجب أن تكرموا أيضًا، هؤلاء الذين ذُبحوا وهم من نفس عمر المسيح، هؤلاء صاروا ذبيحة قُدمت قبل الذبيحة الجديدة (أي الصليب). عندما يهرب إلى مصر اهرب أنت معه؛ وترافقه فرحًا في المنفى. إنه عمل عظيم أن تشترك مع المسيح المضطهد. وإن أبطأ كثيرًا في مصر فادعوه من هناك بتقديم عبادة خاشعة له هناك. إتبع المسيح بلا لوم في كل مراحل حياته وكل صفاته. تطهر واختتن؛ إنزع البرقع الذي كان يغطيك منذ ولادتك. بعد ذلك علّم في الهيكل واطرد التجار من هيكل الله، اسمح لهم أن يرجموك لو لزم الأمر، فإني أعرف جيدًا أنك سوف تفلت من بين هؤلاء الذين يرجموك مثل الله (انظر يو٨:٥٩). لأن الكلمة لا يُرجم. إن جاءوا بك إلى هيرودس لا تعطيه إجابة عن أغلب أسئلته؛ فسوف يحترم صمتك أكثر من احترامه لأحاديث الشعب الكثيرة. إذا جلدوك اطلب منهم أن يتمموا كل الجلدات. ذُق المر واشرب الخل؛ واطلب أن يبصقوا على وجهك؛ اقبل منهم اللطمات والشتائم، وتوج رأسك بإكليل الشوك، أي بأشواك حياة التقوى. إلبس ثوب الأرجوان وامسك القصبة في يدك، واقبل السجود بسخرية من أولئك الذين يسخرون من الحق؛ أخيرًا فلتُصلب مع المسيح واشترك في موته ودفنه بفرح لكي تقوم معه وتتمجد معه وتملك معه، انظر إلى الله العظيم الذي يُسجد له ويمجد في ثالوث، ودعه ينظر إليك وليته يظهر الآن بوضوح أمامك، بقدر ما تسمح قيود الجسد، بيسوع المسيح ربنا الذي له المجد من الآن وإلى الأبد آمين.

١) انظر القداس الغريغوري الذي يخاطب المسيح الكلمة بقوله « الذي لا ينطق به، غير المرئي، غير المحوي، غير المبتدئ، الأبدي، غير الزمني، الذي لا يُحدّ، غير المفحوص، غير المستحيل (أي غير المتغير)». وهذا يوضح أن القداس هو من وضع القديس غريغوريوس نفسه الذي تفوه بهذه العظة وغيرها من الخطب والعظات المعروفة باسمه.

٢) أي إلى الإنسان الذي خلق على صورته.

٣) بناسوت خلقه هو في أحشاء العذراء.

٤) أعطى الله في الخلق نعمة الخلق «على صورة الله» بينما في التجسد يأخذ الجسد: «أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له».

٥) طبعًا من جهة طبيعته التي فيها ملء اللاهوت متحد بملء الناسوت.

٦) يقصد أصحاب بدعة سابيليوس الذي قال إن الآب هو نفسه صار المسيح وصلب وبعد صعود المسيح جاء باسم الروح القدس أي الثالوث أقنوم واحد وليس ثلاثة أقانيم للاهوت واحد.

٧) يقصد الآريوسيين .

رسالة إلى الطوباويين في جبل سيناء(كتبها في أوائل القرن السادس القديس يعقوب السروجي أحد قديسي الكنيسة السريانيّة)

إلى القديسين والمختارين ومحبي الله الآباء الطوباويين الساكنين في جبل سيناء. يعقوب الناقص والحقير والمحتاج مراحم الله ومساعدة صلواتكم، بيسوع النور والحياة، والإله من الإله، الذي هو رجاء حياتكم. سلام.

ظهر الكلمة الإله في عالمنا بميلاده من البتول وفعل الخيرات لكل الجنس البشري بتجليه في الجسد. صار مسكيناً لأجلنا وجعلنا أغنياء بمراحمه. وصار ابن الإنسان وجعلنا أولاد الله. اصعدنا من إنحطاط العبيد وأقامنا في درجة الأبناء الأعزاء. وصار ميتاً بإرادته وسلمنا للحياة التي لا تموت لئلا يتسلط الموت بعد علينا. أضاء المسكونة التي كانت مظلمة ومهَّد طريق الحياة للبشر ليذهبوا عند ابيه المجيد. وقد ايقظكم أيضاً بآلام صلبه أيها المختارون والقديسون لتمجيده واحسستم أن كلمة الله صُلِبَ عوضكم، فاستولى عليكم الرعب، لتبغضوا العالم وتتركوا الوَطن والجنس والأخوة والأهل والمقتنى الزائل والراحة الزمنية وتتبعوه وأنتم حاملون صليبه لتدخلوا معه إلى خدره المجيد.

ويجدر بكم أيها الحكماء بالله أن تكونوا شهوداً وتلاميذ لبشارة الله في ذلك الموضع الفخم: موضع سَكينة الآب. هناك رأى موسى كبير الأنبياء الابن في حضن والده، ومن هناك كان يتوسل إلى الآب ليرسل الابن من أجل خلاص العالم. أحسَّ موسى وعلم بالنبوءة أن وحيد الآب سيُرسَّل من أجل خلاص الخليقة، ولأجل هذا كان يطلب من الآب المجد قائلاً: «اطلب ياربي أن ترسل بواسطة من ترسل» (خر ٤). فاستشاط غضب الرب على موسى لأنه أراد أن يعلن السرّ في غير وقته.

لما ظهر الصليب في العالم، توضحَّت الخفايا واستضاءت به كل الخليقة، **ماعدا اليهود الصالبون مبغضو النور ومحبو الظلمة** فلم يريدوا أن يستنيروا به. ولأجل هذا فَهُم مرذولون لما يقولون: «نحن تلاميذ موسى». لو كانوا تلاميذ موسى لما كانوا يصلبون ربّ موسى. أنتم أيها الرهبان تلاميذ موسى وخدام العهد القديم. بكم يفتخر موسى لأن أسراره بواسطتكم أضحت جليّة، وبواسطتكم تتم مشاهدة جمال نبوءته. لقد **شربتم الماء والدم** من جبل الجلجلة وسكرتم بمحبة الصليب وجذبكم السر لتذهبوا وتكونوا شهوداً لنبوءة موسى التي كانت في كل مراحلها تصوِّر الابن.

على جبل سيناء اعطيت الشريعة. ومن جبل الجلجلة أشرقت شمس العدالة. وأنتم كنتم رسل المسيح الحقيقيين على الجلجلة وعلى سيناء. احسستم بنفسكم القريبة من الله أن الجبلين انتصروا بواسطة الواحد الوحيد: الواحد بواسطة الناموس المكتوب، والآخر بالصليب مكمِّل الكل. ذلك الذي نزل على جبل سيناء مع أبيه هو الذي صُلب على الجلجلة من أجل خلاص العالم. وبما أن العهدين القديم والجديد يقومان بالابن لهذا ينتصر به الجبلان. **ديركم في جبل سيناء** هو شاهد على أن **الجبلين هما صنوان**. لو سكن تلاميذ الصليب في الجلجلة فقط، وسكن تلاميذ موسى اليوم في جبل سيناء، كان يمكن أن يتكلما ضد بعضهما بعضاً. وكان يُظَّن أن هؤلاء الموجودين في جبل سيناء هم خاصة موسى، وهؤلاء الموجودين في الجلجلة هم خاصة يسوع. غير أنَّ وحيد الآب الذي يعود إليه الجبلان **طَرَدَ الصالبين من كلا الجبلين**، وأقامكم أنتم لتكونوا ورثة للجلجلة ولسيناء ولتحبوا وتعشقوا «سَكينة الآب» وصليب الابن. لم توفروا الفرصة ليطأه اخمص قدم الصالبين. انهم مطرودون من الجلجلة، ولا يدخلون جبل سيناء. هوذا يظهر جمال تنسككم في صحراء فاران وفي جبل يابوس. واختلطت البلدان بواسطتكم بعضها ببعض لتقولوا جهراً: «ان الأرض وملأها ملك الرب» (مز٢٣). لا **يليق باليهودي الصالب** لا أن يلج موضع «السكينة» ولا أن يقرأ في ناموس موسى لأنه علّق على الصليب رب الأسرار. كيف يقدر أن يقرأ فيها ويفضح ذاته لكونه صالباً. ها أنَّ سيناء قد اغتنت بكم يا محبي الله لأنكم خدام السر مثل عدن باشجار الفردوس. وابتهج بكم حوريب مثل جنة عدن بشجرة الحياة. فتُسمع اصوات خدمتكم من أديرتكم مثل تسبحة الملائكة القديسين من صفوفهم. وتأكلون كل يوم الثمار الحلوة من شجرة الحياة. لا كاروب، ولا سيف نار متقلب، ولا الحية المتكلمة كذباً، ولا حواء لقطف الثمار، لتأكل وتقدم لكم لتأكلوا وتتعروا. لكنكم لبستم **ابن** البتول القديسة وحملتم نيره بتولياً، وعرفتم بنفسكم المستحقة الله ذلك الذي وُلد من بطن البتول بتولياً، هو نفسه صُلب على الجلجلة ليحيي العالم. وها هوذا يفرح ويبتهج بالثمار الحلوة التي انتجها صلبه على الجلجلة. وها أن سيناء تتنعم بكم ليل نهار، لكونكم ورثة وأي ورثة؟ يصرخون بأصواتهم قائلين: «سبحوا الرب تسبيحاً جديداً» (مز١٤٩) و «سبحوا الرب يا جميع الأرض» (مز٩٩). يفاخر الجبل لأن صالبي ربه لم يرثوه. ويبتهج موضع «سَكينة أبيه» لأن صليب ابنه الحبيب يُكرَّم فيه. وأنتم قد جُعلتم علة لتمجيد الصليب، وعلة لفضح الصالبين. لكم الطوبى الكبير من فم الحق الذي نطق: «طوبى للعبد الذي يُسبَّح بواسطته اسم سيده» (أم٣٠: ١٠)،أنا الضعيف والحقير اتضرع إلى حضرتكم لتذكروني في صلواتكم المختارة والمقبولة وَلْتُصَلُّوا لأجل حقارتي لاستحق أن أكون موطئاً تحت اخمص اقدامكم المقدسة ولأنجو من العالم السيء لمجد يسوع، الذي له التسابيح والبركات مع ابيه وروحه الآن أيضاً وفي كل وقت إلى أبد الآبدين آمين. ■

أركان السعادة

الركن الخامس ـ العمل وأداء الواجب:

العمل قانون الحياة وقاعدة الطبيعة وما خُلقَت الأعضاء في الإنسان إلا ليؤدي كل عضو منها وظيفته ، والحياةَ حركة والسكون موت. كل أثر من آثار الحسنات في العالم هو نتيجة العمل وثمر من أثماره. الإكتشافات والإختراعات التي سهّلت للانسان سبل الحياة وقربّت البشر بعضهم من بعض ان هي إلا ثمرة العمل ، ولو بَطُلَ العمل من الوجود لَقُضيَ على الانسان.

قال ولتر سكوت: «لا يلذّ النوم ولا تحلو اليقظة إلاّ بالعمل، ولا يتمتّع الانسان بأوقات الفراغ إلاّ إن أدركَ معنى الكدّ وذاق طعم التعب».

إنّ لذة الحياة ليست بكثرة أيامها وطولها ، بل بقدر أعمال الانسان فيها وشعوره بها ، وكلما عمل عملاً مفيداً كانت حياته مفيدة كعمله. أما حياة الخامل فهي موت لأنّ الحيّ فيه هو جسده فقط ، وكم من قوم تراهم في سن السبعين ولا يعرفون للحياة طعماً ولا معنى ، وكم ابن عشرين يعرف قروناً وأدهاراً.

العمل من جملة الوسائط التي تجعلنا سعداء وهو مبيد الكسل ، أبو الشرور والمفاسد. لا حقارة في أي عمل لأن كل عمل شريف مهما كانت درجته ، إنما الكسل هو المستحق الإزدراء، وحياة عامل مُجدّ لَهيَ أبهى وأمجد من حياة غني كسول ، بل أَلَـذّ ، لأنّ العامل يشعر بلذة تعب يديه؛ لذة لا يستطيع أن يعرفها الغني الذي ورِثَ مالاً كثيراً لم يعرف قيمته.

قال برتون: «الخمول موتٌ زؤام وسمٌ زُعاف للجسم والعقل ، هو مهد الخبائث ومنبع المفاسد ، هو أحد الخطايا السبع التي تودي بالانسان. هو فراش الشيطان ومتكأه إلا أن خمول العقل أشرّ بلاء من خمول الجسد. والفطنة بلا عمل مرضٌ عُضال ، بل هي صدأ الروح ، بل وبأ ، بل الجحيم بعينه ، وكما تكثر الديدان والقاذورات في الغدير الراكد ، كذلك تنمو الأفكار الخبيثة السيئة في المرء الخامل فَتُدَنِّس روحه. وأني أجرأ ان أقول ان من استولى عليه الكسل لا يرتاح له ضمير ، ولا يسلم له جسم ، ولا عقل ، بل يعيش قَلِقَ البال ، ضعيف الجسم ، مُنْغَضّ الحال ، ساخطاً باكياً مصدوراً آسفاً مذبذباً ناقماً على العالم وما فيه ، يَوَدّ لو مات وارتحل».

إن عقل الانسان لا يسكن أبداً بل هو كرحى دائمة الحركة ، وكلما ألقى فيها من الحبوب طحنته وهو على الدوام يطلب غذاءً ويكون بحسب الغذاء الذي يقتات به ، فمن لا يفكّر في الخير يفكر في الشرّ ، ومن لا ينظر الى فوق ينظر الى الأسفل. ومن لا يتطلع الى المعالي يلتفت الى الدنايا. ومن لا يتقدّم الى الأمام يرجع الى الوراء. **يقول الكسلان: «الماضي خانني ، والحاضر يؤلمني ، والمستقبل يزعجني»** وهذه الكلمات وجدَت موشومة على الساعد الأيمن لبائس قد بلغ الأربعين من عمره وهو يعاني في سجن بورج في فرنسا المرّة الثمانين التي زُجّ فيها إلى أعماق السجون. (راجع أمثال ١٣:٢٦–١٤ و ٣:٢٤ و ٣١ و ٦:٦–١١ و ٤:١٠–٥ و ٤:١٣ و ٤:٢٠ و تسالونيكية الثانية ٣:١٠).

ولا يجب ان ننسى أن العمل يوجب علينا اتمام الواجبات نحو اللّه والناس. يظن كثيرون انهم أحرار يفعلون ما يريدون ، ولكن يجب أن لا يغيب عن أذهاننا أن الحرية نوعان:

١) **باطلة وهي أن نفعل ما نشاء.**

٢) **حقيقيّة وهي أن نفعل ما يجب.**

ولا ينبغي أن نقتصر في أعمالنا على ما يعود بالخير لأنفسنا فقط ، ولا ينظر كل واحد الى ما هو لنفسه ، بل الى ما هو للآخرين أيضاً. ولا يستحق نعمة الوجود من يعيش لنفسه. وعلينا أن نُسعد الآخرين لنشعر بالسعادة. ومن ينظر الى شقاوات وآلام الغير ويكون ذا احساس رقيق ويكون سعيداً ان يجتهد ليخفّف شيئاً من بؤسهم وألمهم ، ولا يوجد أهنأ وأسعَدَ من النفس التي تعلّمت أن تفعل خيراً للآخرين.

الفصل السابع نشاط الملائكة في الوجود ، وبين الأمم

م. باسيليا شلينك

إننا نستطيع أن نشاهد النجوم في مجراتها ، ونتأمل النباتات في نموّها ، وقوى الطبيعة في تدميرها ، كما نختبر الحماية منها في حياتنا. ولكننا لا ندرك إن كافة هذه الأحداث الواقعية ، لها صلتها المباشرة بمعاملات اللّه وبنشاط الملائكة ، وهذا يتفق مع منهاج اللّه المقدس. ففي حالات النمو والإزدهار كما في حالات الموت والإنحلال في عالمنا المتغير الذي نحيا فيه ، يعمل الملائكة حراساً ، عند الحدود التي حددها اللّه لهم، ومنفذين لقرارات اللّه، إنهم الهيئة التنفيذيّة التي أوكل لها اللّه الإشراف على الخلائق ، والقوى الطبيعيّة التي أوجدها في الوجود.

نعم لقد أوكَل اللّه إلى الملائكة الإشراف على الطبيعة ، والخليقة المنظورة ، ولقد أعطيت السلطان على العناصر ، وعلى المواد الطبيعية ؛ الخليقة كلها لا تنفصل عن فعالية الملائكة وعملها. فإلى الملائكة قد أوكل الله الإشراف على الخليقة .

والإنسان الضعيف القاصر ذو القوة المحدودة ، والسلطان العاجز على هذا الكوكب الذي يحيا عليه ، يبدو وكأنه لا شيء على الأطلاق إذا قيسَ بالملائكة بقوتها الجبارة وسلطانها الذي يمتد على خليقة الله جمعاء. فالقوة الرهيبة للملائكة تعطينا فكرة عن قوة اللّه غير المحدودة الذي خلق كافة هذه الكائنات العظمى ، وسلّطها على هذا النطاق الواسع لتقوم بتنفيذ أهدافه ومخططاته.

ولو تأملنا دوائر الأفلاك . بأبعادها التي لا يتصورها عقل ، وملايين الأميال التي تبعدها عن كوكبنا الصغير ، وبلايين الأميال التي تبعدها أحدها عن الآخر ، في المجموعة الشمسية ، وكيف إن هذه كلها قد أوكل بها الملائكة لاستطعنا أن نكوّن فكرة عن عظمة هذه الكائنات، وكما قال أحدهم: إنني أرى أن كافة النجوم الظاهرة في السماء ، وملايين الأجرام السماوية الصغيرة ، التي تكوّن طريق المجرّة اللبني ، والكواكب الأخرى التي لا حصر لها ، والشموس ذات الأحجام الهائلة المشّعة ، وكافة النُظم الشمسية ، والمذنّبات بأعدادها التي تصل إلى الملايين وجميعها تسبح في الفضاء المحيط بنا ، والذي نلقّبه بالكون ، هذه كلها متى قورنت بالفضاء الخارجي المحيط الذي لا نهاية له ، تكون كما نقارن نقطة ماء بالمحيطات.!

بل هناك ما هو أكثر من ذلك ، هناك عُنصرا الماء والنار، إن الملائكة تبدو بأنها متمركزة في كل مكان ، نافذة بسيطرتها على الأجرام السماوية ، كما على المياه والعناصر، وكم يبدو هذا أمراً أكيداً إلى استخدامها لإبادة البشرية جمعاء وخراب الكون وإحراقه ؛ ولذلك يلزم بأن تتسلطا الملائكة على الماء والنار وتقاوم الشيطان في هذا المجال.

يقول كاتب المزامير في المزمور الثامن عشر: «السموات تذيع مجد اللّه. والفلك يخبر بأعمال يديه» (مز١٨:١).

نعم ، إن دائرة الأجرام السماوية هي دوائر عمل الملائكة حيث

ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت

يملك اللّه ويعطيهم الأوامر المتعلقة بإرادته لكل الكون، وهذه الملائكة تخبرنا عمن يكون اللّه ، وما هو مدى مجده وسلطانه وجلاله ، كما يخبرنا عن عرش اللّه الممجد والمرتفع على العالمين ، ومن هناك يجري حكم اللّه في الوجود ، ولا يستطيع انسان أن يسبر غور تدبيرات اللّه العميقة.

وكم هو عظيم أيضاً ذلك الإله ، حينما يبدو في جلاله وفي عمل الملائكة ورتبها واتساع دائرة سلطانها التي تقصر العين عن رؤية مداها ، ذلك لأن تلك الدائرة تتسع لتضم الوجود بكامله.

وأَلا تمتلىء قلوبنا بالتعزية حينما نعرف بأنه في نهاية الأزمنة حينما تنفجر العناصر ، مثل النار ، والماء ، والقوى النوويّة المدمّرة ، فإن لملائكة اللّه السلطان على تلك القوى؟ .. نعم .. حينما تنحل العناصر ، محترقة وتذوب ، فإن إرادة اللّه عن طريق ملائكته ، لابدّ وأن تصنع المعجزات في دائرة من يحبّون اللّه ، حيث تُصدر الملائكة أوامرها الى تلك العناصر ، بألاّ تمسهم بأقل أذى ؛ أمّا أولئك الذين في عداوة مع اللّه ، فسوف تصبح هذه العناصر التي انفلت زمامها قوّة ناريّة مدمّرة لهلاكهم.

وعظمة اللّه نلمسها أيضاً في صور أخرى من السلطان الذي منحه لملائكته ، ذلك لأن اللّه قد عيّنهم كمشرفين على مسيرة الأحداث في مجرى التاريخ. ففي عصر بلوغ الفضاء وفي حقَب التاريخ المتعاقبة ، نجد أن ملائكة اللّه تعمل وراء الستار، فَهم يسهرون على جماعة المؤمنين ويشرفون على أمور البشر ـ نعم هذه الكائنات الجبّارة، التي تنفّذ إرادة القدير (مزمور١٠٣:٢٠)، قد أوكلت برعاية المؤمنين ، كما أوكل لها تنفيذ القضاء ، كما تقوم بمحاربة الشياطين ، وقيادة الإنسان.

وفي سفر دانيال نجد سرداً لقرار اتخذه الملائكة ، وأذاعه أحدها بصوت مرتفع ؛ وهو قرار ضدّ الملك نبوخذنصّر ، يقول الملك وهو يسرد حلمه أمام دانيال: «فصرخ (الملاك) بشدّة وقال اقطعوا الشجرة ، هذا الأمر بقضاء الساهرين ، والحكم بكلمة القدُّوسين ، لكي تعلم الأحياء أنّ العليّ متسلطٌ في مملكة الناس فيعطيها من يشاء ، وَيُنَصِّب عليها أدنى الناس» (دانيال ٤:١٧).

يتبع في العدد القادم

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٤٧)

الفصل الرابع: يشوع والقضاة

ب - عصر القضاة:

القضاة الآخرون:

هم قضاة خلَّصوا إسرائيل من أعدائهم ، لكن لم تُحفَظ أخبارهم بالتفصيل ولم نعرف عنهم سوى معلومات قليلة وهم:

شمجر بن عناة (قض٣:٣١) هو القاضي الثالث وقد خلّص الإسرائيليون من نير الفلسطينيين وخلف أهود بن جيرا ، وليس معنى ذلك أنه بالضرورة قد خلفه بعد موته فمن المحتمل أن شمجر حارب في مكان آخر غير مكان أهود ، وإمتلأ شمجر بغيرة ملتهبة نحو شعبه المضطهد ، ولم يكن يملك عدّة حرب إذ كان راعياً بسيطاً يرعى بقره في الحقل ، لكن اللّه يستخدم أضعف الناس من أولاده وأقلهم شأناً ، فاستخدم شمجر الضعيف الذي كان وحيداً في الحقل بين أبقاره وهو محاصر من ست مئة محارب بأسلحتهم ، ولم يكن بين يديه سوى منساس البقر وهي عصا ينتهي طرفها بقطعة من الحديد تستخدم لنخس الحيوان عندما يتوقف عن السير ، بهذا السلاح الهزيل فاجأ أعداءه ، وخلص إسرائيل منهم ، وإن كان شمجر من أكثر الرجال المجهولين في الكتاب إذ لم يذكر عنه سوى كلمات قليلة لكنها تحمل مدلولات عميقة من جهة عمل الله وإيمان الرجل.

تولع بن فواة (قض١٠:١،٢) هو القاضي السادس قام بعد أبيمالك ، وهو من سبط يساكر وكان يسكن في شامير في جبل أفرايم ، وخلص الشعب من مضايقات اعدائه وقضى ٢٣ سنة.

يائير الجلعادي (قض١٠:٣-٥) هو القاضي السابع، وفي ايام تولع ويائير لم يرجع الشعب عن عبادة الأصنام ، وكانت ايام يائير تتمتع بهدوء نسبي خال من الحروب حتى كان له ثلاثون ولداً يركبون ثلاثون جحشاً ، مما يشير إلى ثرائهم وكرامتهم ، وكان لهم ثلاثون مدينة ، وقضى يائير للشعب ٢٢ سنة ودفن في چلعاد.

أبصان البيتلحمي (قض١٢) هو القاضي التاسع ، وكان من بيت لحم وقضى للشعب سبع سنوات ، كانت فترة راحة وسلام ، وكان غنيّاً ، وُلِدَ له ثلاثون إبناً وثلاثون بنتاً، وأزوَج أبناءه من الخارج لتتسع عائلته ، ودُفن في مسقط رأسه بيت لحم..

أيلون الزبولوني (قض١٢) هو القاضي العاشر، قضى لإسرائيل عشر سنوات ودفن في أيلون زبولون في السهل الكبير.

عبدون بن هلّيل الفرعتوني (قض١٢) هو القاضي الحادي عشر من فرعتون ناحية شكيم ، قضى لإسرائيل ثماني سنوات ، وأنجب أربعين إبناً وثلاثين حفيداً ، يركبون سبعين جحشاً علامة على الغنى والكرامة التي كانوا يعيشون فيها، ودُفن في فرعتون بأرض أفرايم في جبل العمالقة.

حادثتان مؤسفتان (قض١٧-٢١) الإصحاحات الأخيرة لسفر القضاة هي ملحق للسفر وتتضمن حوادث متفرقة وليست مرتبة ترتيباً زمنياً تاريخياً ، لكنها حدثت في تلك الأيام ، التي لم يكن فيها ملك في إسرائيل ، وكانت أمورها مؤسفة لأنها تصف مدى التردّي في الشرّ وسوء حالة الشعب الأدبيّة وإنهيار قيَمه الروحيّة فتكشف حادثة **ميخا** تغلغل الأصنام في وسط الشعب. فأقاموا تماثيل منحوتة وجعلو لها كهنة ، وكانت نتيجة ذلك إنتشار الفاحشة التي كادت تقضي على سبطٍ بأكمله.

هجرة سبط دان (قض١٨:٧) كان نصيب سبط دان بين أملاك يهوذا وافرايم شماله وجنوبه، بينما كانت تُخُم بنيامين وشاطىء البحر من شرقه وغربه ، وإن كان نصيبهم أصغر نصيب في مساحته عن جميع الأسباط إلاّ أن أرضهم كانت مخصبة كثيرة الأودية والهضاب ، ولم يكن لهم راحة أو سلام في ملكهم (يش١٩: ٤٠ ؛ قض١:٣٤). بسبب أعدائهم الذين كانوا يكدّرون صَفْوَ حياتهم فلم ينجح سبط دان في تملّك نصيبه ، فأرسلوا خمسة رجال حرب يتجسّسون الأرض الجديدة في الشمال ، وتمّ الإستيلاء على لايش (قض١٨:٧).

تسمى أيضاً لئم (يش١٩:٤٧)، وهي مدينة كنعانية في التُخم الشمالي ، لم تفلح مدينة صيدون في حمايتها فاستولى رجال دان عليها وضربوا أهلها بحدّ السيف وغيّروا إسمها إلى دان. وهكذا تُظهر الإصحاحات الأخيرة لسفر القضاة النتائج المأسويّة الضَخمة عندما ينصرف الشعب عن اللّه ويصير كل واحد هو شريعة نفسه. (قض١٧:٦).

راعوث الموآبيّة:

تنتمي راعوث إلى زمن القضاة ، وقصتها هادئة وتختلف عن تلك العواصف الثائرة من المنازعات والحروب التي سردها السفر.

ورحلة أليمالك إلى موآب تبلغ نحو ٥٠ ميلاً (٨٠كم) ويستقر بعائلته إلى الجنوب البعيد للبحر الميت ، والتصاق راعوث بحماتها نُعمي وعودتها معها إلى بيت لحم تترك أثراً عميقاً في النفس ، وبعد أن تعمل راعوث في حقل بوعَز وتطالب بحق الولي في الزواج لتقيم إسم وميراث زوجها حسب الشريعة وتدخل راعوث دائرة الضوء. وفي القصة أمرٌ هام هو أن الإيمان الشخصي في إسرائيل ظلّ قوياً وراسخاً بالرغم من السحابة القاتمة التي خيّمت على الشعب في زمن القضاة ، فنرى **بوعز** رجل إيمان **وراعوث** واحدة من نساء العهد القديم ، وإن لم تكن من سليلة الشعب الإسرائيلي ، لكنها بإيمانها صارت جدّة داود ، وبالتالي واحدة من اللواتي ذُكِرنَ في نَسَب المخلّص. (متى١:٥).

يتبع

المحبة

عظة للقديس سمعان اللاهوتي الحديث

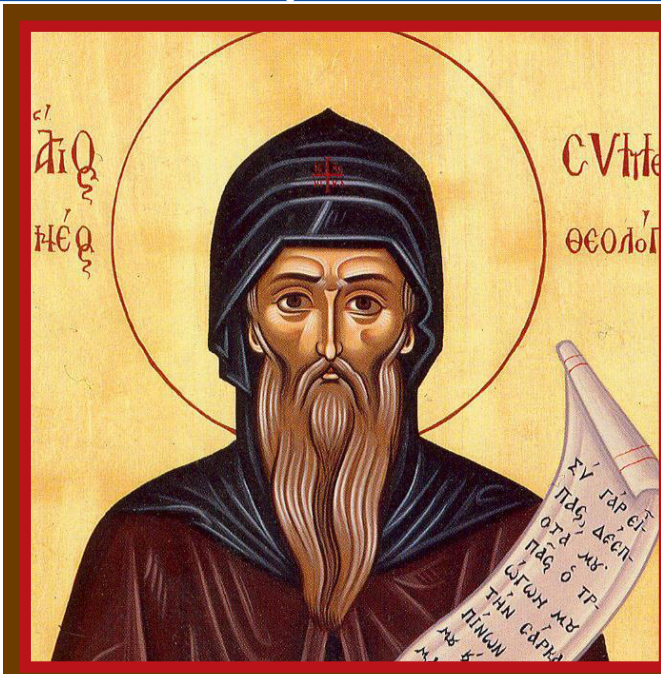

القديس سمعان اللاهوتي الحديث

أخوتي وآبائي بنيَّتي أن أحدثكم عن الأشياء التي تتعلق بمنفعة الروح. لكن، والمسيح هو الحقيقة التي تشهد، أنا أخجل أمام محبتكم لأني أعرف عدم استحقاقي. لهذا السبب كنت أودّ الصمتَ إلى الأبد، والرب يعلم، دون أن أرفع عينيّ لأنظر في وجه أيّ كان لأن ضميري يدينني. لقد انتُدبت لأكون رئيساً عليكم جميعاً مع أني غير مستحق بالكلية. لقد انتُدبت لأكون رئيساً وكأني عرفت الطريق، أنا الذي لا يعرف أين هو نفسه يذهب، ولا حتى يعرف الدرب الموصلة إلى الله. لهذا فالحزن المتملك بي ليس عادياً ولا قليلاً لكوني أُخْترتُ لقيادتكم، أنا الحقير، وأنتم الأكثر استحقاقاً. كان ينبغي أن تكونوا أنتم مرشديَّ لأني الأخير بينكم بالعمر والأقدمية.

لا تحتوي حياتي لا الخبرة ولا الشهادة التي بها سوف أنصحكم وأذكركم بما يتعلق بقوانين الله وإرادته. أعرف أن موضوعي لن يحتوي شيئاً من الخبرة وأعرف جيداً أن ربنا وإلهنا لا يدعو مباركاً ذاك الذي يعلم فقط إذ يقول: «...من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السماوات»(متى٥:١٩). عندما سمع الرسل هذا المعلم صاروا يتشوقون للتمثل به. ليس ما كسبوه من هذه الكلمات عظيماً كالذي كسبوه إذ حُرِّكوا بأعماله وعملوا مثلها. أعرف أن هذا لا ينطبق عليَّ وليس فيَّ أي شيء صالح. ولكن أرجوكم جميعاً يا إخوتي الأحباء، لا تنظروا إلى تهاوني في الحياة ولكن اهتموا بوصايا الرب وتعاليم آبائنا القديسين. فهؤلاء الأنوار المشعة لم يكتبوا شيئاً لم يختبروه أولاً وينجحوا بتطبيقه.

لنتبع إذاً هذا الطريق الوحيد ، وهي وصايا المسيح التي تقودنا إلى الله والسماء. مع أن الكلمة تصف لنا طرقاً مختلفة لكن الطبيعة الداخلية لهذه الطرق هي نفسها: يُحكى عنها كأنها تتفرع إلى طرق مختلفة بحسب مقدرة وموقع كل شخص. ننطلق من أعمال مختلفة كما ينطلق المسافرون من أماكن ومدن مختلفة، لكن مقصدنا الذي نشتاق إليه هو واحد: ملكوت السماوات. أعمال رجل الله وطرقه يجب أن تكون واضحة كالفضائل الروحية. على الذين يبدؤن السير عليها أن يجروا نحو **هدف واحد** كما أولئك الذين تحدثنا عنهم الآتين من أماكن مختلفة يجرون إلى مدينة واحدة، ملكوت السماوات. هناك يستحقون أن يحكموا مع المسيح ويكونوا خاضعين لملك واحد، إله وأب. في هذه المدينة الوحيدة سوف تفهمون ثالوث الفضائل المقدس وغير المنفصل. فوق كل هذا، تلك الفضيلة التي تأتي قبل الأُخَريات وتُذكَر كالأخيرة بينها لأنها هدف كل الأشياء الحسنة وأعظم منها جميعاً: **المحبة**. كل إيمان يأتي منها ويُبنى على أساسها: عليها يرتكز الرجاء. بمعزل عن المحبة لا يكون شيء مطلقاً ولن يكون. أسماؤها وأعمالها متعددة وأكثر منها علاماتها.

إلهية صفاتها وكثيرة، لكنها واحدة في الطبيعة، فوق ما يستطيع وصفه الملائكة والبشر، أو أي من المخلوقات الأخرى حتى التي لا نعرفها. العقل لا يستطيع فهمها، مجدها لا يُدرَك وقصدها لا يُسبَر غوره. إنها أزلية لأنها فوق الوقت، غير منظورة لأن الفكر لا يفهمها مع أنه قادر أن يحس بها. كثيرة هي جمالات هذه الصهيون المقدسة غير المصنوعة بيد. من ابتدأ برؤيتها لا يبتهج بعد بالأمور المحسوسة: يتوقف عن التعلق بمجد هذا العالم.

بعد هذا التمهيد، دعوني أعالج الموضوع بإيجاز وأوجه نفسي إليه مكرساً له كل رغبتي. يا آبائي وإخوتي الأحباء، ما أن تذكرت جمال هذا الحب غير المشوّه حتى ظهر ضوؤه فجأةً في قلبي. لقد فُتنت ببهجته ولم أعد أعي أياً من الأشياء الخارجية. فقدت كل حس لهذه الحياة ونسيت الأشياء التي في يدي. ولكن مرة أخرى فقدته – وأنا خاسر – ومضى عني بعيداً وتركني أنوح في ضعفي. كم هو سعيد من عانقك أيتها **المحبة** المشتهاة، لأنه لن يتمنى أبداً معانقة أي حُسن أرضي. مغبوط هو من يحركه الحب الإلهي ليلتصق بك. فهو سوف ينكر العالم كله، وفيما يعيش بين الناس يبقى بغير دنس. مغبوط هو من يعانق جمالك ويبتهج به برغبة لامتناهية لأنه سوف يتطهر بالماء والدم الذين ينبعان منك بكل طهارة. مغبوط هو من يعانقك بعمق لأنه سوف يتغير بشكل رائع. بالروح والنفس سوف يبتهج، لأنك البهجة التي لا توصف. مغبوط هو من يمتلكك لأنه سوف يحسب ثروات الأرض كالعدم، لأنك

بالحقيقة الغنى الذي لا يفرغ. مغبوط ومُضاعف الغبطة هو من تقبلين، لأنه وإن يكن بدون مجد مرئي إلا أنه يكون أكثر مجداً من كل المجدين وأكثر كرامة وجلالاً من كل المكرَمين. من يتبعك مستحق الثناء ويستحق ثناء أكثر ذاك الذي يجدك. مبارك أكثر ذاك الذي تحبين وتقبلين وتعلمين ويحيا فيك ويغتذي بك مع المسيح، الغذاء الأبدي، المسيح إلهنا.

أين تقتنين المسيح؟ أين تخفينه؟ أين أخذت مخلص العالم وتخليت عنا؟ إفتحي ولو باباً صغيراً لنا غير المستحَقين حتى نحن أيضاً نرى المسيح الذي تعذب من أجلنا، وبرحمته تكون لنا الثقة بأننا لن نموت إذا رأيناه. إنفتحي لنا لأنك صرت بابه حتى يظهر بجسده. لقد حرّكت قسراً شفقة سيدنا الطوعية الكريمة ليحمل خطايا وأسقام كل الناس، فلا ترفضينا بقولك «**لست أعرفكم**». كوني معنا حتى تعرفينا لأننا مجهولون عندك. أسكني فينا لعل السيد يزورنا نحن الحقيرين أيضاً عندما تلاقَينه لأننا غير مستحقين. فهو سوف يتوقف على الطريق ليتحدث معك، وهكذا يُسمح حتى لنا نحن الخطأة أن نسقط عند قدميه الطاهرتين. أنت سوف تتوسطين من جهتنا وتلتمسين أن تُنسى ديوننا من الأفعال الرديئة، حتى من خلالك نوجد من جديد مستحقين لخدمة سيدنا ونتغذى به. أن نهلك بجوع الفقر المدقع هو بمثابة عقوبة وتأديب، حتى لو لم يكن علينا ديون.

فلتغفري لنا إذاً، أيتها المحبة المقدسة، ولْنُدْخل عبرَك فرح معونات ربنا. لأن أحداً لن يذوق حلاوتها إلا عَبْرَكَ. مَن لا يحبك كما يجب، وليس موضع محبتك فسوف يجري ولكن لن يأخذ الجعالة. من يجري يبقى غير أكيد إلى أن ينهي السباق، أما الذي أمسك بك أو بمن هو ممسك بك فهو أكيد من النصر لأنك أنت غاية الناموس. أنت من يُطَوِّقُني ويؤججني ويضرمني بعمل قلبي برغبة جامحة لله ولأخوتي وآبائي. **أنت معلمة الأنبياء، رفيقة الرسل، قوة الشهداء، وحي الآباء والمعلمين، كمال القديسين جميعاً** والآن براءتي للخدمة التي أمامي..

سامحوني يا أخوتي إذ انحرفت قليلاً عن تعليم موعظتي بسبب استطرادي عن المحبة. لأني إذ وعيتها فَرِحَ قلبي كما يقول داود القديس، وإذ حُرِكتُ إلى إنشاد تسابيح معجزاتها، أتوسل الى مَحبتكم أن تتابعوها بكل قوتكم وتجروا وراءها بإيمان حتى تمتلكوها. لن يخيب رجاؤكم مهما يكن. مهما كان حماسكم عظيماً وأتعابكم في النسك كثيرة، فهي كالهباء أن لم تتوصل إلى المحبة بروح منكسرة. ليس بأية فضيلة أخرى أو بتطبيق آخر لوصايا المسيح يُسمى أيٌّ كان تلميذ المسيح لأنه هو نفسه قال: ... لهذا السبب «الكلمة صار جسداً وحل فينا». لهذا السبب تجسد. بإرادته واحتمل الآلام المعطية الحياة، لكي يخلص الإنسان خليقته من رباطات الجحيم ويعيده ويقوده إلى الملكوت. إذ حركتهم المحبة، خاض الرسل ذلك السباق المتواصل ورموا صنارة الكلمة وشبكته على كل الكون ليرفعوه من عمق الوثنية ويوصلوه سالماً إلى ميناء مملكة السماوات. إذ حركتهم المحبة، أراق الشهداء دماءهم كي لا يخسروا المسيح. محركين بالمحبة، آباؤنا المتوشحون بالله ومعلمو المسكونة طرحوا حياتهم بشوق من أجل الكنيسة الجامعة الرسولية. نحن بالرغم من عدم استحقاقنا دخلنا لقيادتكم يا آباءنا وأخوتنا لكي نتمثل بهم بكل الطرق بقدر ما نستطيع ونتحمل من أجلكم ونصنع كل شيء من اجل تنويركم ومنفعتكم وتقدمتكم كضحايا كاملة، ذبيحة عقلية على مائدة الرب لأنكم الأولاد الذين أعطانيهم الرب، أحشائي وعيناي. وبكلمات الرسول أنتم فخري، وختم رسالتي.

أخوتي الأحباء بالرب، فلنتلهف إلى استعمال كل الطرق بما فيها المحبة المتبادلة لخدمة الرب. فليكن مثالكم ذاك الذي اخترتم كأب روحي، مع أني بعيد عن أن أستحق لعل الله يبتهج من توافقكم وكمالكم. أيضاً أنا في حقارتي أبتهج إذ أرى تقدمكم المطرد في الحياة التي ترضي الله، إذ تزدادون في الإيمان والنقاوة ومخافة الله والوقار والندامة والدموع. بهذه يتنقى الإنسان الداخلي ويمتلئ بالنور الإلهي ويصبح بالكلية ملكاً للروح القدس بنفس منسحقة وفكر متضع. فرحي سوف يكون بركة لكم وزيادة في الحياة المباركة الخالدة في المسيح يسوع سيدنا له المجد إلى الأبد آمين.

اللّه محبّة

بهذا أُظهرت محبّة اللّه فينا: أنّ اللّه قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به. (١يو ٤:٩)

الغنيّ هو الغنيّ باللّه وهو الذي يستغني كثيراً بالعلاقة معه

فينعكس ذلك الغنى في تعاملات العبد مع الأحداث التي تمرّ به ، فإن إدلهمّت الخطوب إستشعر معيّة اللّه معه.

لذلك يقول الشاعر:

فَلَيْتَكَ تَحْلو والحياةُ مريرةٌ ... وَلَيْتَكَ تَرْضَى والأنَامُ غِضَابُ

وَلَيْتَ الذي بَيْني وَبَيْنَكَ عَامِرٌ ... وَبينِ وَبَيْنَ العَالَمَين خَرابُ

إذا صَحّ مِنْكَ الودّ فالكُل هيّن ... وَكُل الّذي فَوْقَ التُرَابِ تُرَابُ

كنيسة القديس جوارجيوس في حوران

هويتها وموقعها وتاريخها:

جاء في كتابة روميّة (يونانية) مسيحية أن المُحسن الذي بنى هذه الكنيسة هو يوحنا «المتقدم» ابن ديوميلس. فقد بنى مارتيريون مار جاورجيوس سنة ٥١٢ على اثر حلم، مما يعني أنه قدم هذه الكنيسة بسخائه الشخصي. وجدير بالذكر غياب أسماء شخصيات كنيسة في الكتابات كلها في إزرع حول مساهمة رجال الدين المسيحي في المباني الكنسيّة.

تقع هذه الكنيسة إلى شمال شرق البلدة، وقد حلت محل هيكل وثني ووضعت فيه ذخائر القديس جاورجيوس العظيم في الشهداء وهو من أولياء الله الأكثر شهرة وتكريماً لدى سكان حوران ، نظير القديس الشهيد سرجيوس. تُعرف هذه الكنيسة بـ الدير لدى سكان حوران. فيُقال «دير ازرع» و«دير مار جرجس في ازرع» . وأُطلق على الشهيد جاورجيوس لقب «الخضر» فيُقال «خضر ازرع» و«راعي الحصان» و«راعي الكنيسة الحي الخضر أبي العباس» و«خضر الله الحي» و «خضر إزرع الحي». وهو محبوب لدى جميع سكان حوران. فينذرون له النذور، ويحجّونه حاملين تقادمهم، من مسيحيين ومسلمين، ويذبحون على عتبته الخراف ويوزعونها على الفقراء، ويقدمون الحلي والنقود على مذبحه، وكثيراً ما تحج إليه النساء حافيات الأقدام لإيفاء النذر. وللشهيد جاورجيوس عجائب، كثير الرأفة وحاضر العون، وهو «للأسرى مُعتق، وللمساكين عاضدٌ وناصرٌ، وللسقماء طبيب وشافي. . .».

أهمية هذه الكنيسة الهندسية:

قال عنها المركيز دي فوغويه، عالم الآثار: «إنها أكثر المباني الأثرية إثارة في تلك المنطقة» وكنيسة القديس جاورجيوس في إزرع معاصرة لأهم الكنائس التي لا تزال إلى أيامنا تشهد للفن المعماري الرومي (البيزنطي)، منها على سبيل المثال لا الحصر: -كنيسة /كاتردائية القديسين سرجيوس وباخوس ولاونديوس في بصرى ، كنيسة آجيا وصوفيا / الحكمة الإلهية في القسطنطينية ، كنيسة القديس فيتال في إيطالية. كنيسة القديس لورينزو في إيطالية.

وصف الكنيسة:

الكنيسة موجهة إلى الشرق. يتألف باب المدخل الرئيس في الواجهة الغربية من فتحة مستطيلة الشكل تعلوها قنطرة مرتفعة جداً، نُقشت فيها خطوط جيومترية متوازية وكذلك باتجاه طرفيها. ونجد على عتبة الباب نقوشاً تزينية وصليباً من كل جانب بارز المعالم تحيطه عناقيد عنب في الزوايا كلها متقنة الصنع.أما البابان الإضافيان الجانبيان في الواجهة الرئيسة فلا عقد فيهما، وفي عتبة كل منهما نُقش صليب ضمن دائرة والحرفان من الأبجدية اليونانية (الأول A والأخير Ω) كما جاء في سفر الرؤيا، وهو رمز للسيد المسيح الذي هو البداية والنهاية، وعنقودان من العنب في الزاويتين فوق الحرفين في كل من الدائرتين.

يأخذ البناء شكل مضلعين متحدي المركز مثمني الزوايا في دائرة. يحمل المضلع الخارجي دفة وقبة. ويقوم قبالة واجهة المصلى الشرقية مستطيل ينتهي بحنية نصف دائرية ـ وفي هذا القسم تحفظ ذخائر القديس جاورجيوس ـ وإلى جانبيه داران مستطيلتا الشكل، واحدة من كل جهة: الذياكونيكون إلى الشمال، واليروئيسيس إلى الجنوب. وفي كل زاوية من المربع حنية صغيرة. وحدها الحنية الجنوبية الشرقية لها فتحة (باب) تقضي إلى البروئيسي، كما أن للذياكونيكون وحده (وهو لاستعمال الإكليروس وحده) باب يفضي إلى الخورص فقط. في الواجهة الغربية المخلية الرئيسة ثلاثة أبواب، الوسط أكبر من الجانبين، وهناك بابن كبيران، واحد في الجهة الجنوبية وآخر في الشمالية يقضيان إلى صحن الكنيسة المثمن.

مقطع طولاني للكنيسة:

تقوم القبة على ٨ ركائز (عضائد) أو أعمدة، علو كل منها ١٥ قدماً، تحمل دفاً طوله ١٨ قدماً. والمدماكان الأخيران في هذا الدف يتكونان من بلاطات تحول مثمن الزوايا إلى شكل هندسي يتألف من ١٦ زاوية ثم من ٣٢، ومن شكل هندسي متعدد الأضلاع يتحول تدريجياً إلى شكل شبيه بالدائرة لتكون أساساً للقبة الكبرى. أما القبة الصغيرة فهي من احجار الدبش وفيها ما يؤيد الظن أنها تعود إلى ذلك العصر نفسه الذي تم فيه البناء القديم ـ وقد جرى استعمال هذا الشكل الهندسي قبل ذلك بثلاثة قرون في بعض المباني الوثنية القائمة في حوران ، والغريب جداً والمثير هو شكله البيضوي، ويذكرنا بمباني آسيا الوسطى. والبناء، باستثناء هذه القبة الصغيرة المبنية من أحجار الدبش، في معظمه من أحجار مقصوبة مركبة بلا ملاط يشدّها بعضها على بعض. وعند أساس القبة بعض النوافذ والفتوحات، في كل من ٨ أضلاع المثمن، التي هي أقدم مثال نعرفه لتأمين الإضاءة. والمساحة بين المثمن الخارجي والداخلي يكون رواقاً (أو الشعاري) ينفتح على داخل المبنى. الخورص ورواقه الجانبي مبلط ببلاطات حوران المعروفة، هي من الحجر البازلتي الأسود. وفي قلب الحنية الكبرى ثلاثة صفوف من المقاعد أو الكراسي بشكل نصف دائرة، معدة لرجال الإكليروس، في وسطهم يجلس الأسقف والأسقف يمثل السيد المسيح المعلم الجالس وسط تلاميذه. ويقوم المذبح في وسط صحن الخورص، ويتصل بالسكرستيا الخاصة (الشمالية) اما السكرستيا الأخرى (الجنوبية) فيُباح الدخول إليها للعموم، من باب يتصل بحنية الزاوية الجنوبية الشرقية، ومنها يخرجون من الكنيسة بباب في أقصى الشرق. وهناك ستار عند «الباب الملوكي» للهيكل يفصل الشعب عن الكاهن، يُفتح ويُسدل في أوقات محددة من الليتورجية، كما هي العادة في الطقوس الشرقية.

حالة الكنيسة الراهنة:

بقيت هذه الكنيسة على وضعها الذي بُنيت عليه على يومنا هذا دون تغير يُذكر، ولعل التغيير الوحيد الذي طرأ عليها قد نتج عن الحروب التي أتلفت بعضاً من قبتها (في حرب ابراهيم باشا سنة ١٨٤٠) وفي سنة ١٨٩٩ ضربها زلزال عنيف، فهدم القبة الأصلية القديمة. ثم رممت في عهد البطريرك غريغوريوس حداد ودشنها بنفسه نحو سنة ١٩١١. ومنذئذ لم يجر عليها أي تشويه أو تغيير يُذكر. وقد حافظت على رونقها حتى اليوم. كانت وما زالت مخصصة للعبادة بحسب الطقس الرومي (البيزنطي) لكنيسة الروم الأرثوذكس، ولا تزال الاحتفالات الدينية تقام باستمرار تحت قناطرها وقبابها.